



www.RabElMagd.com

Presents

خمسة دروس أساسية

في

الدفاع

عن الإيمان

خمسة دروس أساسية في الدفاع عن الإيمان

- ١- كتابكم محرف
- ٢- نعبون ثلاثة
- ٣- هل صلب المسيح؟
- ٤- من هو المسيح؟
- ٥- هل تجسد الله؟

مقدمة الكتاب

ماذا نركز:

إن دعوة الله لنا هي الخروج للكراسة مت ٢٨ : ١٩ اذهبوا ويقول الرسول بولس إذ الضرورة موضوعة علي فويل لي إن كنت لا ابشر كورنثوس الاولى ٩ : ١٦
فما هي يا تري الضرورة الموضوعتة على الرسول؟ وما هي الحتمية التي تدفعه لأن يبشر والا فويل له؟

أولا: هي أمر الهي:

صاحب السلطان في السماء وعلي الأرض يقول - اذهبوا إلي العالم اجمع وأكرزوا بالأنجيل للخليقة كلها-

والأمر هنا للجميع، للتلاميذ الإثني عشر (الرسل) وتلاميذ الرب في كل عصر وزمان(فالذين تشتمتوا جالوا مبشرين بالكلمة. أعمال ٨ : ٤) . ومن لا يطيع الأمر فهو خطاء عصي الأمر الإلهي، لذلك يقول الرسول بولس فويل لي إن كنت لا ابشر.

ثانياً: الرب يقول انتم شهودي:

لقد صنع لنا فداء أبديا وقدم لنا نعمة الخلاص المجانية وعلمنا الطريق والحق، فمن جانبه صنع لنا كل شئ، وينتظر أن نفعل المطلوب منا، أن نشهد للجميع عن فداءه ومحبتة ورعايته وشخصه العزيز المبارك، لذلك يقول أشعياء الأصحاح ٤٣ : ١٢ -أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب. وأنتم شهودي يقول الرب وأنا الله .

من حولنا كثيرين يقولون عن الله معلومات منقوصة، أنه الجبار المنتقم، العالي الكبير، لا علاقة له بخليقتة، الذي يلقي في جهنم ولا يبالي وفي الجنة ولا يبالي، الذي يخش من مكره . والرب ينادي: أنتم شهودي يا من اخترتم جودي وصلاحي، محبتي وفدائي، رعايتي وعنايتي، هل أنا

كذلك؟ لماذا لا تشهدوا بما اختبرتموه في؟! لقد صنعت كل شيء لكم
وأكملت دوري.. أين دوركم!!!

ثالثاً: لن نثم الكرازة بأي خليفة أخري غير الإنسان :

لا ملائكة ولا خليفة أخري وضع علي عاتقها توصيل بشارة الخلاص
غير البشر. ومن يقرأ سفر الأعمال أصحاح ١٠ يجد قصة كرنيليوس
الرجل الأممي لكنه تقي خائف، يصنع حسنات كثيرة، يصلي إلي
الله ، يري رؤى، يأتيه الملاك ويقول له : صلواتك وصدقاتك سعدت
تذكاراً أمام الله(أعمال ١٠: ٤) ثم يقول له ارسل استدع سمعان بطرس هو
يقول لك ماذا ينبغي أن تفعل(أعمال ١٠: ٦) .يحتمل أن يكون رد
كرنيليوس كالآتي: سيادة الملاك أنت تعرف كل شيء، لماذا لا تخبرني
بالمطلوب، ألا تعرف أن سمعان يهودي وأنا أممي ويحتمل أن يرهضان
دعوتي؟ أرجوك اخبرني ماذا ينبغي أن افعل ولا تضيع الوقت!!! لكن
الملاك يغادر المكان دون أن يخبره بشيء أكثر.

البشارة بالإنسان للإنسان وهذا شرف ومسئولية، شرف أن يختارنا الله
لهذه الإرسالية العظمي، ومسئولية لأننا ينبغي أن نجته في توصيل الخبر
الساير للجميع، ننفق وننفق، سنطالب بدم الجميع. زارني شخص في
مكتبي وسألني: لماذا لا تخبرونا بالحق الذي عندكم؟ ما هو ردكم إذا
سألكم المولي عز وجل يوم الدين عنا ؟ احترت في داخلي وقلت لنفسي :

نعم ماذا سنقول؟ هل سنردد قول قايين: أ حارس أنا لأخي؟ أم كنت اجهل
إجابة أسئلته؟ لا- كنت خائفاً مرتاعاً لان ظروفى صعبة(وأكل العيش
مر؟ بل كنت خائفاً علي بيتي وأولادي أن يخرب ويتشردوا من بعدي!!!
لكنى سمعت الصوت داخلي يقول: هل في خوفك استطعت أن تزيد
علي قامتك ذراعاً واحداً ؟ من يعتني ويرتب ويحرس بيتك وأولادك؟ألست
أنافان ذهبت أو لم تذهب فبدوني لا تقدر أن تفعل شيئاً، لا تخافوا من
الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا، بل خافوا
بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم (مت
١٠: ٢٨). أنا صاحب الأمر بالخروج، وأنا الذي قلت - وها أنا معكم كل
الأيام إلي انقضاء الدهر(مت ٢٨: ٢٠).

رابعاً: الكرازة تحيف لشهوة قلب الرب:

إن شهوة قلب الرب هي- أن جميع الناس يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون- تيموثاوس الاولي ٢: ٤

وأنت هل تحب الرب؟! الحبيب دائماً وأبدا يرغب في تحقيق أمانى المحبوب ليرى السعادة والهناء تغمر حياته, ألا تريد أن تحقق شهوة قلب الرب فتقوم وتكفرز وتخطف من النار جموع كثيرة محبوبة لديه ويريدها أن تخلص؟ عندك رسالة الخلاص وتستطيع توصيلها فتفرح قلب الرب بخطة يتوبون, وتفرح السماء والملائكة والمؤمنين.

خامساً: لأن الجميع زاغوا وفسدوا:

يقول النبي يوثيل في الأصحاح الثالث ٩ - ١٤ :

نادوا بهذا بين الأمم. قدسوا حربا انهضوا الأبطال ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب اطبعوا سكاتكم سيوفا ومناجلكم رماحا . ليقل الضعيف بطل أنا. أسرعوا و هلموا يا جميع الأمم من كل ناحية واجتمعوا ألي هناك أنزل يا رب أبطالك تنهظان وتصعد الأمم إلي وادي يهوشفاط لأنني هناك أجلس لاحاكم جميع الأمم من كل ناحية. أرسلوا المنجل لان الحصيد قد نضج هلموا دوسوا لأنه قد امتلأت المعصرة فاضت الحياض لان شرهم كثير. جماهير جماهير في وادي القضاء لان يوم الرب قريب.

نعم جماهير كثيرة في وادي القضاء منتظرة الحكم بالموت فجميعهم زاغوا وفسدوا, الساحة كبيرة ومملوءة, وماء الحياة عندك وتعرف طريق الخلاص, ألا تريد لهؤلاء النجاة والفرح معك بالملكوت؟ أن تخطف من يد ابليس نفوس معذبة خلقت للحياة الأبدية .

سادساً: لأن يوم الرب قريب:

أصبحت النهاية وشيكة ويوم الرب صار علي الأبواب , وننادي بأعلى الأصوات- آمين تعالي أيها الرب يسوع- ونردد الصلاة الربانية دائماً - ليأت ملكوتك- بمعنى أن تملك يارب علي الجميع. كيف؟! ونحن نري الجميع بعيدين ولا يملك إلا علي نسبة ضئيلة!!! نقف موقف المتفرج نصلي صلاة لا ندرك معناها ونطلب طلبة لا يمكن أن تتحقق.

ليأت ملكوتك, آمين تعالي أيها الرب يسوع!!! إن يأت ملكوته إن لم تخرج وتكرب بهذا الملكوت فيعرفه الجميع ويسلموا له الحياة فيملك, كما أنه لن يأتي ليدين إن لم تصل الرسالة للجميع, ولن تصل بشارة الملكوت إلا بواسطة البشر, فإن لم نخرج لتوصيلها لن نتحقق طلبتنا في سرعة مجيئه..!! الوقت أصبح مقصر, ولا وقت للمجادلات الغبية والأعداء الواهية والتحزبات الإبليسية والجهل والخوف, إنها ساعة لنستيقظ من النوم, فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور (رومية ١٣: ١١-١٢).

لكن لمن نذهب؟

إن الكرازة ليست لأمة معينة أو لون أو لغة أو جنس معين بل الكرازة إلى العالم.. يقول السيد المسيح في مت ٢٨: ١٩ اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم. دون حدود للسياسة أو اللغة أو الجنس أو اللون أو حتى العقيدة.. بل جميع الأمم..

وفي مرقس ١٦: ١٦ اذهبوا إلى العالم أجمع.. :
لكن ماذا عن متى ١٠: ٦ إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة!!!

نعم التلاميذ في بداية حياتهم ليست لهم خبرة عالمية بل خبرتهم في العقيدة والعلم واللغة محدودة بحدود بلادهم لذلك أرسلهم الرب إلى بيت إسرائيل حيث لغتهم وعقيدتهم وتاريخهم كإرسالية تدريبية للتعلم في خاصتهم ثم بعد ذلك جاءت الإرسالية العظمى إلى العالم أجمع بعد انتهائهم من مرحلة التدريب.

وماذا عن مت ٧: ٦ لا تعطوا القدس للكلاب، لا تطرحوا درركم قدام الخنازير.. نعم إذا عرفت أن هؤلاء كلاب وخنازير فلا تطرح دررك، لكنك أمام إنسان لا تعرفه فيجب أن تطرح خبزك أولاً لتمييز إن كانوا كذلك أم لا. من أجل كل هذا نحن نطرح أمامك إجابة لخمس أسئلة هامة دائماً ما تواجه الكارز حتى تكون عزيزي القارئ مستعد أن تجاوب كل من يسألك عن سبب الرجاء الذي فيك بوعادة وخوف (ابط ٣: ١٥).

كتابكم محرّف!!

سؤال يطرحه الأصدقاء، في صدق أو في شك، يهاجم دون دليل، أو يسأل لأنه يفتقر إلى البرهان، حائر بين الشك واليقين بين التصديق وعدمه، يحاول أن يعمل العقل فلا يجد برهانا يشفي الغليل. يحاول أن يسأل أهل الذكر فيجد الغالبية تخاف أو تجهل البرهان أو لا تستطيع أن تعبر عن إيمانها بما يزيح الشك وينير الطريق. حتى هو نفسه أخافوه وأرعبوه من الاقتراب إلى الكتاب، ويقولون له: يكفي ما عندك. لست بحاجة إلى غير ما تملك. والغريب إذا حاول الاقتراب من عنده يجد الآيات البينات التي تقول إن الكتاب هدى ونور، وإنه تنزيل العلي، الواجب الرجوع إلى أهله إذا شك في كلمات ربه (يونس ١٠: ٩٤) وتذكير أهله بالحكم بما فيه وليس بالغائه والحكم بحسب ما جاء بعده من رسالة وكتاب (مائدة ٥: ٤٧).

إن دعوة التحريف تظهر على السطح أسئلة كثيرة، بل كل علامات الاستفهام التي نعرفها في لغتنا الجميلة: أين، كيف، من، لماذا، متى؟

دعونا نطرح هذه الأسئلة ونجواب عليها نباعاً: أين؟

تقول إن كتابنا محرّف، فأين الكتاب الصحيح الذي من خلاله استطعت أن تجزم أنه ليس الصحيح؟ جاوبني أولهم قائلاً: إن النبي عيسى عليه السلام، ولأنه يعرف الغيب، عرف أنكم أناس لا تستحقون نعمة وجود الكتاب المقدس الصحيح بين أيديكم لأنكم ستغيرون ما به من أحكام وأقوال، فأخذه معه حينما رفعه الله إليه، وأعادته إلى مكانه الطبيعي في السماء العليا عند العرش.

ثم قال لي ثانيهم: في العصور الوسطى، عصور الظلام الفكري وسيادة الكنيسة وتسلطها منعت الشعب من الإطلاع على الكتاب المقدس،

وقصرت معرفته على الآباء الكهنة فقط لدرجة أنهم جاءوا بالنسخة الأصلية بعد ربطها بسلاسل من حديد وطرحوها في أعماق المحيط حتى لا تكون في متناول أحد. وبذلك اختفت وضاعت. وما بين أيديكم اليوم هو تأليف وتزوير ومطمان افتراء.

قال ثالثهم: قالوا لنا إن النسخة الأصلية موجودة فقط مع رؤساء الطوائف الثلاث الأرثوذكسية، الكاثوليكية، الإنجيلية، أما عامة الشعب فليس لديها إلا المحرف.

ثم تابعت سؤالي: هل قرأت الكتاب بنفسك حتى تكتشف زيفه وتحريفه؟ وكان الرد من الجميع بالنفي.

إذا أين التحريف؟ هل خُرف الكتاب كله وكتب آخر جديد؟ أم هل تحرف جزء منه؟ أم هل تحرفت عدة آيات؟ إذا أين هي؟ هل يمكنك أن تشير إليها حتى يمكننا البحث وإجلاء الحقيقتة؟ والرد: لا نعرف.

وهنا تأتي المشكلة الكبرى: أنت تؤمن أن التوراة والإنجيل تنزيل العلي حسب كتابك الكريم، فالله سبحانه هو مصدره، مؤلفه ومرسله. فأين كان سبحانه حينما تم التحريف؟ هل يمكن أن تتجراً وتقول إنه لم يعرف بالتحريف؟ سبحانه علام الغيوب الذي هو على كل شيء قدير.

أم أنه لم يبال به، وبعد أن نزله لم يعد يعنيه منه شيء، وليكن ما يكون!!!

إن دعوى التحريف تنسب لله تعالى صفات غير صفاته: - تنسب إليه عدم الحب: فالرسالة التي أرسلها لنا ليعلن فيها من هو وما يطلبه منا، ترسم لنا الطريق للعودة إلى الفردوس المفقود بخطأ أبويننا آدم وحواء، ما هو هدف حياتنا، أين سنكون في آخرتنا، إنها إعلان حب من إله محب يهتم بخليقته التي أوجدها، كما يهتم الأب بأولاده والراعي برعيته!! فبعد كل هذا يترك رسالته لتتغير وتبديل، وتكون النتيجة هلاك خليقته وتركهم للمخادعين دون من يحمي أو يعتني؟! إننا بذلك ننسب لله أنه إله غير محب، لا يهتم ولا يعتني ولا يبالي. سبحانه عز وجل

لأنه علا عن ذلك علوا كبيرا.

- إنه إله غير قادر: أن يحفظ رسالته وكلمته من التغيير والتبديل والتحريف. إن الحكومة التي تصدر قانونا، تصدره بدافع الاهتمام بالرعية فالقانون لصالحها، وتقوم بتنفيذه لتعلن هيبتها وقدرتها، والحكومة التي لا تهتم بتنفيذ القانون هي حكومة ضعيفة لا تهتم برعيته، والرعية لا تهابها ولا تقدرها، فتعم الفوضى ويسود قانون الغابة في أراضيها. فالذي يقول إن الله عز وجل لم يحفظ رسالته وقانونه الأدبي والأخلاقي، وترك الناس يغيرون ويبدلون فيما أعلنه، ينسب له عدم القدرة على حفظ قانونه. وحاشا لله أن يكون كذلك، فهو كلي القدرة، القوي الذي يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر الذي بيده أمرنا وهو على كل شيء قدير.

إنه إله غير قدوس: إن دعوى التحريف تنسب لله عدم القداسة، فكيف لنا نحن الخطائين الذين ارتكبنا كل إثم وفجور، كيف ندخل إلى قدس أقداس العلي، في كتابه العزيز المقدس، ونغير ونحرف؟! هل يمكن أن تهزم الظلمة والنجاسة والنور والقداسة، أو تختلط بهم؟ .. حاشا لله.

كيف؟

كيف يتم التحريف في كتاب بلغت أحاده المسكونة كلها وانتشر في ربوعها بسرعة شديدة. فكيف يمكن جمع كل النس وحرقتها وتدوين جديد محرف في عالم لم يعرف الطباعة بعد، فالكتابة يدوية مرهقة، والكتاب كبير يأخذ من الوقت والجهد والأموال ما لا طاقة لأحد بهم؟

وهل اتحد كل المسيحيين على التحريف ولم يكن بينهم معارض لهذه الفكرة، أو مؤمن متمسك بكتابه فيحفظه لنا ويقاوم المبدعين المحرفين ، فتنتشر هذه الأفكار وتعلم بها المسكونة كلها ويعرف الغث من السمين؟ كيف تم التحريف ونحن لم نسمع عن ذلك خلال سبعة قرون لم يظهر لنا فيها معارض أو كتاب مخالف أو بدع تتبنى هذه الفكرة؟

كيف يحرف هذا الكتاب الفريد إذا قورن بكتب كثيرة؟
سأل عالم وهو في مكتبه ابنه أن يعطيه الكتاب، فقال الابن مندهشا:
أي كتاب تريد يا والدي؟ أجابه الوالد: حينما أقول الكتاب بادئا بألف
لام التعريف فإني أقصد الكتاب المقدس، لأنه فريد. إذا وضعت كل
الكتب التي أمامك في المكتبة في كفة ميزان والكتاب المقدس في
الكفة الأخرى لرجحت كفة الكتاب المقدس، فهو الكتاب الفريد.

١- فريد في نوابطه:

على الرغم من أن عدد الكتاب الذين كتبوه أربعون كاتباً، في زمن
يناهز ١٦٠٠ عاماً كتبهم رجال الله القديسون مسوقين بالروح القدس
(ابطرس ٢: ٢١).

كتبوه في أماكن مختلفة: فمنهم من كتب في السجن (بولس)، ومنهم
من كتب في القصر (دانيال)، ومنهم من كتب في الصحراء (موسى)،
ومنهم من كتب في عيادته (لوقا).

كتبوه في حالات نفسية مختلفة: منهم من كتب في أيام الحرب
فكانت كلماته كلها تصب جام الغضب على الأعداء والدعاء لله بأن
يفنيهم ويكسرهم، مثل داود في مزاميره الشهيرة.

ومنهم من كتب في حالات السلم والرخاء فكانت كلماته رقيقة فيها
حكمة وأمثال سليمان الحكيم.

كتب بلغات مختلفة: العبرانية والآرامية واليونانية.

كتب في قارات مختلفة: أوروبا وآسيا وأفريقيا.

وعلى الرغم من ذلك نجده كتاباً مترابطين من أول سفر فيه إلى آخره على
الرغم من وجود مئات المواضيع الجدلية التي تحتمل الأخذ والعطاء. أسوق
لك مثالا ليقترب الفكرة:

في ألعاب الأولمبياد ١٩٨٩ والتي اشترك فيها فريق مصر الأول بقيادة
المدرّب الجوهري، كان الحديث في الجرائد المصرية اليومية عن الفريق

وانجازاته موضوع جدلي واحد اختلف فيه النقاد في جريدة واحدة مثل الأهرام، فقال ناقد رياضي إن الجوهري أدخل الفريق إلى العالمية، وإن ما صنعه الفريق يعد إعجازاً.. في ذات الوقت وفي ذات الصفحة من نفس الجريدة، كتب ناقد آخر يقول: ما هذا الذي فعله الجوهري؟ هل يمكن لفريق في كأس العالم أن يلعب بطريقة دفاع المنطقة كل الفريق في صندوق المرمى، بالطبع لن يدخل رماه أي هدف. أن ما قدمه الفريق لا يحسب له بل عليه.

موضوع جدلي واحد في ذات العصر من كاتبين في جريدة واحدة، لهما نفس المستوى الثقافي، ولكنهما اختلفا في الحكم في موضوع جدلي واحد.

الكتاب المقدس يحتوي على مواضيع جدلية كثيرة مثل موضوع الخلاص وطريقه. لم يكتب أحدهم أن الخلاص بسفك الدم بينما كتب آخر أننا في عصر الكمبيوتر نضغط على زر فنحصل على الخلاص. بل على العكس نجد أن هناك خطأ قرمزيا عبر الكتاب كله من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا يقول بدون سفك دم لا تحصل مغفرة. على الرغم من اختلاف الكتاب، واختلاف زمن الكتابة، واختلاف اللغة والثقافة والمكان والحالة النفسية، وتباعد القارات عن بعضها وعدم اتصالهم بعضهم البعض.

٢- فريد في توزيعه:

أكثر كتب العالم توزيعاً بلا منافس، فقد احتاجت دار الكتاب المقدس منذ خمسين عاماً أن تطبع كل ٣ ثوان كتاباً أي حوالي ٢٨٨٠٠ كتاب يومياً لتكفي الطلب وتسد الاحتياج.

٣- فريد في بقائه: على الرغم من:

(١) الزمن: لقد كتب الكتاب على أوراق البردي، والحجارة، وجلود الحيوانات، وكلها مواد تبلى وتفتنى. ومع ذلك فعندنا آلاف المخطوطات التي يرجع زمن كتابتها إلى ٢٥٠ ق.م.
(٢) النقد: أول وأكثر كتاب يقابل بموجات نقد عاتية عبر كل العصور:

* موجات نقد عالية higher criticism قادها علماء ألمان في القرن ١٩ وكان نقدهم مبنيًا على أن ما بالكتاب يخالف ما هو موجود ومتعارف عليه في الحياة مثل:

- ما جاء في سفر يشوع عن سقوط سور أريحا في مكانه، فهذا يخالف للغرف والطبيعة، فالسور يسقط إما إلى الداخل أو إلى الخارج.

- وصول إبراهيم أبو الأنبياء إلى مصر راكبًا جملاً، فكيف حدث ذلك ولم تكن الجمال موجودة أثناء وجود إبراهيم في مصر؟ لا بد أن يكون هناك خطأ لأنه ينافي الواقع.

- لكتابة لم تكن موجودة في عصر موسى، فكيف يقول الكتاب إن موسى هو كاتب التوراة؟

موجات نقد واطي lower criticism وهو الذي يزعم بوجود اختلاف بين آيات الكتاب وبعضها في الأسفار المختلفة.

* الاضطهاد: الكتاب الوحيد الذي قوبل بالاضطهاد منذ عهد الرومان البعيد حتى الشيوعية القريبة، هو الكتاب المقدس، فقد أحرقوه وأحرقوا أصحابه، ووضعوه في الزيت المغلي وأحرقوا بيوتهم ودور عبادتهم وأماكن تجمعهم وطاردهم في كل مكان.

قال الملحد الفرنسي المعروف فولتير سنة ١٧٧٨م إن المسيحية والكتاب المقدس لن يبقيا لأكثر من خمسين عامًا. ولكن بعد خمسين عامًا أصبح فولتير في ذمة الله، وأخذت دار الكتاب المقدس منزله ومطبعته لتستخدمهما في طبع الكتاب المقدس وتوزيعه. بقي الكتاب عبر السنين، ومضى فولتير إلى التراب الذي منه خلق!

٤- فريد في نعاليمه:

تعاليم نبوية: الكتاب الوحيد المليء بالنبوات المستقبلية عن مدن وشعوب وأفراد هو الكتاب المقدس. وهناك فرق بين الأسطورة والنبوة، فالأسطورة كلمات جميلة تحكي عن رؤية مستقبلية لا يمكن أن

تتحقق بكاملها. أما النبوة فهي رؤية مستقبلية تتحقق كلها وبكاملها. وفي الكتاب نبوات عن مدن تحققت كلها كما قيلت بطريقة مذهلة ومعجزية خارقة للعادة وفوق الطبيعة.

كما أن هناك أكثر من ٣٣٠ نبوة عن السيد المسيح ميلاده، حياته، تعاليمه، آخر أيامه على الأرض، صليبه وما تم فيه، قيامته وصعوده، كلها مكتوبة قبل مئات السنين وتحققت كلها في ملء الزمان.

تعاليم تاريخية:

الكتاب الفريد الذي يحكي تاريخ شعب في حقبة تقدر بخمسمائة سنة هي تاريخ الشعب اليهودي من صموئيل إلى سفر الأخبار يحكي بكل تدقيق أنسابهم ورحلاتهم وأحوالهم وما حدث لهم بتفصيل يفوق كل التاريخ حتى التاريخ الفرعوني.

تعاليم شخصية:

أي مؤرخ يكتب تاريخ حياة شخص ما، يسجل دائماً الجوانب المضيئة من حياته ويبتعد قدر المستطاع أو يكاد لا يذكر أي جوانب سيئة منها.. إلا الكتاب المقدس حينما يذكر أشخاصه كتب عنهم كل شيء، حلومهم ومرهم، مناطق القوة والضعف فيهم، الجوانب المضيئة والسيئة. فمثلاً إبراهيم الرجل الذي أطاع الله حتى قدم ابنه ذبيحة ومحرقته طاعة لأمر الله وحتى لقب بأب المؤمنين، يذكر عنه الكتاب أنه كذب وقال إن امرأته سارة هي أخته.

داود الرجل الذي وجد حسب قلب الرب، كاتب المزامير الرائعة التي فيها ينادي بحبه لله وغيرته على شعبه، يذكر الكتاب أنه زنى مع بثشبع امرأة أوريا الحثي، بل وقتله أيضاً. وهذا ليوضح لنا إن الجميع زاغوا وفسدوا وليس من يعمل صلاحاً الجميع غير معصومين من الخطية ولم يمش على أرضنا أحد بدون خطية إلا شخص واحد فريد هو الرب يسوع.

٥- فريد في ترجمته:

عادة يترجم الكتاب من اللغة الأصلية إلى لغة شعب آخر إذا كان

محتواه صالحا ونافعا للبيئة المترجم إليها. وكلما زادت ترجمات الكتاب دلّ هذا على صلاحيته لكثير من الشعوب مثلما حدث مع كاتبنا العظيم الأستاذ نجيب محفوظ حيث نال جائزة نوبل لكثرة ترجمات كتبه (ثلاث لغات).

الكتاب المقدس أول كتاب في التاريخ يترجم من لغته الأصلية (العبرانية) إلى اللغة اليونانية ٢٥٠ ق.م بما عرف بالترجمة السبعينية نسبة إلى ٧٢ شيه يهودي قاموا بترجمته في الإسكندرية بأمر من بطليموس حسب نصيحة مدير مكتبة الإسكندرية اليهودي الذي بشره بالخير العظيم الذي يحل على البلاد إذا ترجم الكتاب (التوراة) إلى اللغة اليونانية. وبالفعل أحضر بطليموس ٧٢ شيوخا من فلسطين، ووضع كل واحد منهم في حجرة منفصلة ليضمن سلامة الترجمة التي قارنها ببعضها في النهاية فكانت واحدة.

واليوم زادت ترجمة الكتاب المقدس ألفي لغة ولهجة، وما زال الاحتياج موجودا والترجمات مستمرة، فهو الكتاب الوحيد الذي تحتاجه كل الشعوب لأنه إعلان الله عن نفسه لبني البشر.

٦- فريد في نائره:

ما من شخص مُخلص تصفّح الكتاب بغرض البحث عن الله فيه، ومعرفة طريق العودة إلى الفردوس المفقود بالخلاص من الذنب، إلا ووجده ونال الخلاص، فالكلمة حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين. كلام الله ينير ويعقل الجهال تسراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي.

كان أحدهم أميرا لجماعة من جماعات التكفير والهجرة وكان المتعلم الوحيد في هذه المجموعة (ثانية هندسة)، طلب منه البحث عن أخطاء الكتاب المقدس لمهاجمة أصحابه. وبعد بظطان شديد لأنه وهو الأمير كيف يمسك كتابا محرفا فينجس طهارته؟ قبل على مضطغان ونتيجة الإلحاح. وبمجرد أن بدأ في القراءة وجد نفسه لا يستطيع المقاومة أو ترك الكتاب، فاستمر أسبوعين لا يتحرك إلا لقضاء الحاجة فقط حتى قرأ التوراة كلها، واكتشف الإله الحقيقي والسلام الذي يفوق كل عقل

وطريق الخلاص من الأوزار، فقرر أن يتبع صاحب هذا الكتاب الذي عزف على أوتار قلبه لحن الخلاص ورفع عن كاهله أثقال أعوام مضت فأصبح حرا من قيد فكري وجسدي مناديا باتباع هذا المخلص العظيم.. نعم إنه الكتاب الفريد... فهل قرأته؟

المخطوطات:

كيف يتحرف كتاب عندنا كم هائل من مخطوطاته القديمة باللغة الأصلية يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد بـ ٢٥٠ سنة؟! وهي متاحة لأي شخص ليرجع إليها بعد تعلم لغتها ليجد أن ما بين أيدينا هو نفسه الموجود بالمخطوطات.

وكلمة مخطوطة تعني "كل ما حُط باليد" ففي القديم لم تكن الطباعة معروفة وكل ما كان يكتب كان يكتب باليد على جلود الحيوانات أو ورق البردي أو الأحجار أو عظام كتف الحيوانات، وكلها مواد تفسى وتبلى. لذلك يلزم دائما إعادة كتابة كل ما يقارب على الفناء منها بجديد يسمى "مخطوطة" تخضع لشروط واحتياطات ونظم صارمة في كتابتها حسب أوامر التلمود اليهودي مثل:

١- الدرج المستعمل للقراءة في المجمع يجب أن يكون مكتوبا على جلد حيوان طاهر.

٢- يجب أن يجهزه يهودي لاستعماله في المجمع.

٣- تجمع الرقوق معا بسيور مأخوذة من حيوان طاهر.

٤- يجب أن يحتوي كل رق على عدد ثابت من الأعمدة في كل المخطوطة.

٥- يجب أن يتراوح طول كل عمود ما بين ٤٨-٦٠ سطرا، وعرض العمود يحتوي على ثلاثين حرفا.

- ٦- يجب أن تكون الكتابة على السطر، ولو كتبت ثلاث كلمات على غير السطر ترططان المخطوطة كلها.
 - ٧- يجب أن يكون حبر الكتابة أسود، لا أحمر ولا أخضر ولا أي لون آخر، ويتم تجهيزه طبقا لوصفة ثابتة.
 - ٨- يتم النقل بكل دقة من مخطوطة صحيحة تماما.
 - ٩- لا يجب كتابة كلمة أو حرف أو نقطة من الذاكرة. يجب أن ينقل الكاتب كل شيء من المخطوطة النموذجية.
 - ١٠- يجب ترك مسافة تسعة حروف بين كل فقرتين.
 - ١١- يجب ترك مسافة شعرة أو خيط بين كل حرفين.
 - ١٢- يجب ترك ثلاثة سطور بين كل سفرين.
 - ١٣- يجب إنهاء سفر موسى الخامس بانتهاء سطر. ولا داعي لمراعاة ذلك مع بقية الأسفار.
 - ١٤- يجب أن يلبس الناس ملابس يهودية كاملة.
 - ١٥- يجب أن يغسل جسده كله.
 - ١٦- لا يبدأ كتابة اسم الجلالة بقلم مغموس في الحبر حديثا.
 - ١٧- لو أن ملكا خاطب الكاتب وهو يكتب اسم الجلالة فلا يجب أن يعيره أي التفات.
- من هذه النسب المخطوطة والتي يعود تاريخها إلى القرون الأولى الميلادية:
- ١- النسخة الإسكندرانية: نسبة إلى مدينة الإسكندرية التي خطت فيها

ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٣٢٥ م وهي ما تزال محفوظة في المتحف البريطاني بلندن.

٢- النسخة الفاتيكانية: نسبة إلى مكتبة الفاتيكان المحفوظة بها وتاريخ نسخها من ٣٠٠ ٣٢٥ م.

٣- النسبة السينائية: نسبة إلى جبل سيناء حيث اكتشفت في دير سانت كاترين عام ١٨٤٤ ويرجع أنها كتبت عام ٣٥٠ م.

٤- النسخة الإفرائيمية: في دار الكتب الوطنية بباريس باللغة اليونانية يرجح أنها نُسخت عام ٤٥٠ م.

عندنا آلاف النسخ من هذه المخطوطات الأربعة للكتاب المقدس كاملاً بالإضافة إلى كم هائل من القصص التي تحتوي على أجزاء من الكتاب المقدس مثل:
١- مخطوطات وادي قمران:

التي اكتشفت عام ١٩٤٧ بالأردن وتحتوي على مخطوطة كاملة لسفر إشعياء باللغة العبرية يرجح أنها كتبت في القرن الثاني الميلادي.

كذلك أسفار اللاويين وأيوب والمزامير وحبقوق وكلها مطابقة تماماً للنصوص الموجودة بين أيدينا اليوم.

كيف يتحرف هذا الكتاب وكل مخطوطاته قد تعرضت للفحص الدقيق والبحث العلمي وهو ما يسمى بعلم الببليوغرافيا أو ثبت المراجع أو نقد النص، وهو علم معترف به في الجامعات، استخدم لبحث كتابات الأقدمين، لأننا لا نملك الكتابات الأصلية. لكن كل ما نملكه هو مخطوطات لهؤلاء. وهذا العلم يبحث في صحة نسبة المكتوب إلى الكاتب فمثلاً كتابات العلماء المشهورين أمثال أفلاطون وأرسطو وهيروdot و نملك من المخطوطات المنسوبة إليهم العدد القليل فأرسطو له ٧ وأفلاطون ٨ وهيروdot له ٤٨. هذه المخطوطات يرجع تاريخ نسخها من زمن كتابتها ١٢٠٠ و ١٣٠٠ و ١٤٠٠ سنة وهذا العلم يقول إنه كلما قرب زمن

النس لزمان الكتابة كلما كانت المخطوطة صحيحة.

ونحن نعتمد في جامعاتنا على هذه المخطوطات القليلة البعيدة عن زمن كاتبها ونقر ونعترف أنها أفلاطونيات أو كتابات أرسطو وهيروdot وتدرس في الجامعات ولا يعترينا أي شك أو شبه تحريف فيها.

فإذا ما عرضنا الإنجيل لمثل هذا العلم وبحثنا في مخطوطاته لوجدنا الآتي: مخطوطة مثل جون ريلاند تحتوي على إنجيل يوحنا مكتوبة سنة ١٣٠م ونحن نعرف أن إنجيل يوحنا كتب ما بين ١٠٠-٨٠م وهذا يعني أن المخطوطة يبعد زمنها عن كاتبها البشير يوحنا بين ٣٠-٥٠ سنة فقط .

وقد نشرت جريدة الأهرام سنة ١٩٩١ أنه عثر على مخطوطة إنجيل متى في الأقصر يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٦٠ ميلادية والمعروف أن إنجيل متى كتب سنة ٤٥م وهذا يعني أنه خلال ١٥ سنة فقط وصلت نسخة من إنجيل متى من موطنها الأصلي في آسيا إلى الأقصر، وهو زمن قياسي، مما يدل على انتشار الإنجيل السريع والمذهل في أرجاء العالم المعروف في ذلك الوقت.

من ؟!!!

من يحرف الكتاب؟ اليهود أم المسيحيون أم هما معا؟!!!
إن قيل إن اليهود حرفوه، نقول: هذا من رابع المستحيلات لعدة أسباب منها:

١- اليهود يحبون كتابهم ويقدمونه، وقد رأينا طقوس كتابة المخطوطات ونسخها والشروط الصعبة الدقيقة في هذه العملية مع تخصيص فئة متخصصة في الكتابة (هم الكتبة) للقيام بعملية تجديد المخطوطات القديمة كلما استدعى الأمر ذلك.

٢- وجود بطغان الأخطاء الظاهرية في الأسفار حتى اليوم مثل:

٢ صم ١٠: ١٨ أن داود قتل من آرام ٧٠٠ مركبة بينما يذكر في ١٩: ١٨ أنه قتل ٧٠٠٠ مركبة

٢) قد يبدو للوهلة الأولى ان هناك تضاربا في الأقوال، لكن بالرجوع إلى ذلك العصر ندرك أن المركبة الحربية كانت تسع عشرة جنود، وهكذا يكون المقصود في الأولى عدد المركبات؛ أما في الثانية فهو عدد الراكبين. كما أن كلمة مركبة الواردة في أخ بمعنى راكب أو جندي للتفرقة بين المحاربين في مركبات والمحاربين الفرسان أو المشاة)

١ ب. مل ٧: ٢٦ يقول إن الحوض يسع ألفي بث؛ بينما في ٢ أخ ٤: ٥ يقول إنه يأخذ ويسع ٣٠٠٠ بث (الأولى تعبر عن الكمية وقت الاستعمال لترك مساحة للمياه المزاحة نتيجة حجم المستحم فيها حتى لا تفيض خارجة؛ أما الثانية فتعبر عن السعة الكاملة التي يمكن أن يأخذها الحوض في حالة ملئه إلى حافته).

ج. امل ٤: ٢٦ يقول إنه كان لسليمان ٤٠,٠٠٠ مزود خيل؛ بينما يقول ٢ أخ ٩: ٢٥ إنه كان له ٤٠٠٠ مزود.. (المزود به عشرة عيون لعشرة خيول، فيكون المقصود في الأولى عدد الخيول وفي الثانية عدد البلوكات ذات المزود العشرة).

ولو كان عند اليهودي إمكانية التبديل والتعديل لأصلح هذه التي يُظن أنها أخطاء لكنها في الظاهر فقط.

٣- ذكر خطايا للأنبياء في التوراة مثل كذب إبراهيم وقوله لامرأته: - قولي إنك أختي- وزنى داود الرجل الذي وجد حسب قلب الرب، صاحب المملكة العظيمة الموعود لها بالاستمرار للأبد. فكان بالأولى أن يحذفوها ويغلقوا الباب الذي يأتي منه الريح حتى لا تشوب سيرة أنبيائهم أي شائبة. فوجودها حتى اليوم برهان قوي على عدم زيادتهم أو حذفهم من كتابهم.

٤ اليهود والمسيحيون ليسوا على وفاق، ويختلفون في العقيدة والإيمان في عقائد أساسية حول شخصية السيد المسيح والصليب والخلص.

المسيحيون عندهم نفس توراة اليهود ويؤمنون بها ويعتبرونها مع الإنجيل -كتابهم المقدس- العهد القديم والعهد الجديد. فلو حاول اليهود تغيير أو

تبديل أي آية أو كلمة أو حرف لسارع المسيحيون فوراً بالاعتراض وتقديم الدليل، فالكتاب الصحيح أيضاً معهم. فإن كانت عند اليهود إمكانية فعل ذلك لعملوا ألف حساب قبل كل شئ للمسيحيين وللنسخة طبق الأصل لتوراتهم التي معهم.

٥. هناك وصية في تثنية ٤: ٢٠ - لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم - وبكل تأكيد كان بينهم من يحترم ويحفظ كتابه ويطيعه.

إن قيل إن المسيحيين هم الذين قاموا بالتحريف، قلنا:
١. المسيحيون يحبون كتابهم أيضاً ويقدمونه ويملكون آلاف المخطوطات من قبل الميلاد بمئات السنين تطابق النسب الموجودة والترجمات التي بين أيديهم تماماً.

٢. توجد أخطاء ظاهرة في العهد الجديد. ولو كان عند المسيحيين احتمال التحريف لقاموا بتعديل هذه الأخطاء وسد الباب الذي يأتي منه الريح.

٣. هناك ذكر لخطايا الرسل والمؤمنين والكنيسة (سفر أعمال الرسل ١٥: ٣٩ و٤٠ الرسالة إلى أهل كورنثوس ١كو ٥: ١، سفر الرؤيا الأصحاحات الثلاثة الأولى)

لو كان احتمال للتحريف لحذفوا فوراً هذه الخطايا.
٤. يوجد تحذير شديد اللهجة في سفر الرؤيا الأصحاح ٢٢: ١٨-١٩ لأنني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب.

٥. كلنا نعرف عنف الاضطهاد وقسوته الذي تعرض له المسيحيون عبر العصور المختلفة في القرون الأولى، وخاصة أيام دقلديانوس الذي أحرق المنازل وغلَى الأجسام في الزيت. ومع ذلك كان المسيحيون يتمسكون

بالكلمة ويبشرون بها بفرح حاسبين أنفسهم مستأهلين أن يهانوا من أجل المسيح. فهل يمكن لأناس حرفوا كتابهم ويعرفون ذلك تماما أن يقدموا على الموت بفرح من أجل كذبة أو خدعة وكتاب حرفوه بأيديهم؟!!

لماذا؟

لماذا نحرف كتابنا؟! واعترضوا قائلين نعم عندنا أسباب منها:

١. هناك آية في سورة الصف ٦١: ٦ تقول:

ان السيد المسيح -عيسى ابن مريم- قال: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.. فأين هذه الآية في الإنجيل اليوم؟ وفي سيرة السيد المسيح؟ أليس هذا دليلا على تحريفكم بحذفها من الكتاب؟ نقول: أولا : لو أن السيد المسيح ذكر هذا الاسم لقال -يهوذا- وليس -أحمد- لأنه كان يتحدث العبرانية، وأحمد بالعبرانية هو -يهوذا- حسب ما جاء في سفر التكوين ٢٩: ٣٥ على لسان ليثة امرأة يعقوب -وحبلت أيضا وولدت ابنا وقالت: هذه المرة أحمد الرب. لذلك دعت اسمه يهوذا-

وكل ما ذكره السيد المسيح عن هذا الاسم هو يهوذا الإسخريوطي مسلمه الذي أعلن للتلاميذ معرفته لكل خطته حتى من قبل تنفيذها، وحذره ليتوب ويرجع عن شر أعماله. لكنه رططان تبكيت الروح ونقذ ما اتفق عليه مع رؤساء اليهود وسلم يسوع بقبلته.

ثانيا: لو افترضنا جدلا أن السيد المسيح قالها، فالرسول اسمه محمد وليس أحمد!!! فيكون الرد: الاسمان من مصدر واحد، فأحمد ومحمد ومحمود ومصطفي وممدوح وطه كلها تدل على ذات الاسم الذي للرسول -صلعم-

ولو افترضنا جدلا صحة هذا الكلام، فعندنا في بلادنا خمسون مليون مسلم على الأقل منهم ٤٥ مليوناً أسماؤهم أحمد ومحمد ومصطفي وممدوح ومحمود وطه، فإلي أي منهم كان يشير السيد المسيح؟؟؟ لأنه لم يقل لنا في بشارته الاسم ثلاثيا حتى نتعرف عليه ويكون المقصود به شخصا بعينه، فتكون الرسالة واضحة ليؤمن الجميع.

لكن هذا ليس واردا في سورة الصف ٦١ : ٦ لذلك لماذا نحذفه!! كان من الأسهل، لو أن افتراضنا مازال قائما بالقول إن السيد المسيح بشر برسول اسمه أحمد، أن نقول كما قال اليهود للتلاميذ حينما أخبروهم أن توراتهم تبشر بالمسيا، وأنه هذا هو الذي 'صلبتموه أنتم وقتلتموه' (ليس هذا بل نحن ننتظر المسيا) وما زالوا حتى الآن في انتظار من تنبأت عنه التوراة أنه يأتي، ولم يقوموا قط بحذف نبوات المسيا الموجودة في توراتهم مفسرين إياها بتفسيرات أخرى تواكب معتقداتهم.

٢. ذكر النبي في إنجيل يوحنا ١ : ٢١ معرفا ب ألف لام التعريف مما يقصد به نبينا وإلا ما الداعي لقول اليهود ليوحنا المعمدان -أنت المسيح، أنت إيليا، النبي أنت؟!- فإذا قلنا إن النبي هنا والذي سئل عنه اليهود تحقيقا للنبوة التي جاءت في سفر التثنية ١٨ : ١٥-١٨ بإرسال الله نبيا مثل موسى، قالوا: نعم هذا صحيح، والنبي هو رسولنا فهو مثل موسى في وجوه كثيرة، فكلاهما نشأ في بيوت أعدائهما، وكلاهما ظلما بين عبدة الأصنام، وكلاهما رفضه قومه أولا ثم عادوا فقبلوه، والاثنتان هربا من وجه أعدائهما. موسى هرب إلى مديان ومحمد هاجر إلى المدينة، ونزل كلاهما إلى ساحة القتال وحارب الأعداء وعمل المعجزات وساعد أتباعه من بعد موته على امتلاك فلسطين.

وبالعودة إلى نص تثنية ١٨ : ١٥-١٨ نجد أنه يقول لموسى أقيم لك نبي من إخوتك، فإذا صح بناءً على قرابة إسماعيل وإسحاق الأخوية اعتبار بني إسماعيل وبني إسرائيل إخوة، فكم بالأولى كثيرا يكون أسباط إسرائيل الاثني عشر إخوة بعضهم لبعظان؟

والدليل أن المقصود بالقول -من إخوتك- أنه من الأسباط الاثني عشر الوصية التي أوصى بها الله بني إسرائيل بعدم أخذهم ملكا من غير إخوتهم (تثنية ١٧ : ١٥). فبنو إسرائيل من أول تاريخهم إلى نهايته لم يتوجوا ملكا أجنبيا عليهم من خارج الأسباط.

فإذا قيل لك إن أحد إخوتك سيتقلد منصبا عاليا، هل يفهم من ذلك أنه يقصد جارك الذي يسكن معك في ذات المبنى، أم ساكن نفس الحي، أم

المتكلم ذات اللغة؟!!

ومع ذلك فهناك آية صريحة يحذر الله فيها بني إسرائيل أن لا يقبلوا أي نبي من ذرية إسماعيل لأن عهد الله كان مع اسحق (تك ١٧ : ١٨-٢١ و ٢١ : ١٢-١٠)

أيضا النبي الموعود به هنا في تثنية ١٨ : ١٥-١٨ هو مرسل إلى بني إسرائيل، أما محمد فقد أعلن رسالته إلى العرب وبلغت عربية، وهو أيضا ليس مثل موسى فموسى عبراني والرسول عربي.

موسى طلب قتله في طفولته
والرسول لم يكن كذلك

موسى تعلم الحكمة والثقافة المصرية
والرسول كان نبيا أميا

موسى صنع المعجزات
والرسول لم يصنعها لعدم إيمان الأولين بها (الإسراء ٥٩)

موسى كان يكلم الله وجها لوجه،
والرسول يقول إن جبريل كان يأتيه بالآيات من السماء

الدنيا والمكتوبة في اللوح المحفوظ. وبغضن النظر عن كل هذا فالآية العاشرة من تثنية ٣٤ تحسم لنا وجه التشابه بين موسى وبين النبي الموعود به في هذا السفر وهي تقول "مثلك يكلم الله وجها لوجه". فلا يمكن أن يكون المقصود هو نبي الإسلام.. فيا ترى من هو هذا النبي؟ إنه السيد المسيح الذي تشابه مع موسى حيث كان مطلوبا قتله في طفولته، عبراني من الأسباط، وكان ينمو في الحكمة والقامة والنعمة، وقد صنع معجزات عديدة بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء، ولم يكن يكلم الله فقط وجها لوجه فهو الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبز (يو ١ : ١٨) بل هو كلمة الله أيضا باعتراف الجميع (أع ٣ : ٢٢-٢٦)

٣- أن النبوة مذكورة في تثنية ٣٣ : ٢
"جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيير وتلألأ من جبل فاران وأتى من
ريوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. فقليل إن قوله "جاء الرب من
سيناء" يشير إلى تنزيل الشريعة على موسى، وقوله "وأشرق لهم من سعيير"
يشير إلى تنزيل الإنجيل على المسيح. أما قوله "وتلألأ من جبل فاران"
فيشير إلى تنزيل القرآن على محمد، لأن جبل فاران قريب من مكة!!

أن كاتب سفر التثنية هو موسى ولا يدل كلامه هنا على الإشارة إلى
الإنجيل أو القرآن بل أراد أن يذكر بني إسرائيل كيف أضاء مجد الله
إلى مسافات بعيدة عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء. والذي
يفتش عن خريطة سيناء الجغرافية يجد أن جبل سيناء وسعيير وفاران
ثلاثة جبال واقعة كلها في شبه جزيرة سيناء وعلى بعد مئات الأميال من
مكة. (راجع تكوين ١٤ : ٦ وعدد ١٠ : ١٢ و١٢ : ١٦ و٣ : ١٣ وتثنية ١ : ١).

٤ ان كلمة الباراقليط المترجمة المعزي هي في الأصل
وأصل ترجمتها "المحمود". وأنتم قمتم بتحريفها لتكون الروح المعزي بدلا
من اسم نبينا. وللدرد على هذه المزاعم نقرأ كلمات المسيح في بشارة
يوحنا أصحابات ١٤-١٦ عن صفات الروح القدس، الروح المعزي. فإذا كانت
تنطبق على البريقليط الذي هو الروح المحمود كان الادعاء صحيحا، وإن
لم يكن كذلك فالقول بالتحريف باطل. قال المسيح:

١٤ : ١٦ يمكث معكم إلى الأبد

١٤ : ١٧ لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه

١٤ : ٢٥ سيرسله الأب باسمي (إذا هو رسول المسيح)

١٥ : ٢٥ يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

١٥ : ٢٦ فهو يشهد لي.

١٦ : ١١٨ يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على
خطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأنني ذاهب إلى أبي ولا ترونني

أيضا، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

فهل يمكن أن تنطبق كل هذه الصفات على الرسول!!!؟
يمكن معنا إلى الأبد!!! لا يراه العالم ولا يعرفه؟ رسول المسيح
فيكون المسيح هو الله (حسب قولهم إن محمدا رسول الله!). يعلمنا
ويذكرنا بكل ما قاله السيد المسيح "أحبوا أعداءكم.. وكما رفع
موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان.. أنا والأب
واحد.. من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم.. من طلق
امرأته إلا لعلّة الزنى يجعلها تزني.. أنا هو الطريق والحق والحياة.. ليس
بأحد غيره الخلاص (غير المسيح).. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد..
إلي أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من
الناموس حتى يكون الكل!!!!!!
٥- وجود أربعة أنجيل وعدم وجود إنجيل المسيح هو أكبر دليل على
تحريفكم الكتاب الواحد.

وللرد نقول إن كلمة إنجيل في الأصل اليوناني معناها "خبر سار" أو
"بشارة مفرحة". وهذا الخبر السار أو تلك البشارة المفرحة رواها أربعة
أشخاص مسوقين بالروح القدس (١ بطرس ١: ٢١). كل واحد منهم كتب
من زاوية حسب المكتوب إليهم ومفهومهم وخلفيتهم الدينية
والاجتماعية. مثلما يحكي لك عن حادث موت عشرة أشخاص صباح
اليوم ويأتي آخر فيقول شاهدت سيارة ميكروباص تشتعل فيها النيران
فتأتي عليها. ثم يحكي ثالث عن حادث مروع حدث بين سيارتين صباح
اليوم، ويأتي رابع ويحكي عن رعونة سائق ميكروباص أدت إلى وفاة
كثيرين. كل واحد يحكي قصة مختلفة، لكنها واحدة، فهناك
سائق أرعن، يقود سيارة ميكروباص، نتج عن سوء سلوكه تصادم مع
سيارة أخرى ملاكي، واشتعلت النار بهما، ومات عشرة أشخاص من
الركاب. أما بخصوص إنجيل المسيح، فالمسيح لم يأت بكتاب منزل، بل
جاءنا ببشارة مفرحة، والبشارة هنا هي شخص المسيح نفسه "المخلص"
الذي جاء ليفدي البشر، كما قال عنه الملاك ليوسف في متى ١: ٢١ "ستلد
ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" وكما قال
البشير يوحنا في بشارته ٣: ١٨-١٦ "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل
ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة

الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يندان والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد.

لقد تحرف كتابكم والدليل حذف أسفار بكاملها من كتابكم الأصلي، مثل: يشوع بن سيراخ، ويهوديت، وأستير، وطوبيا، ونشيد الفتيان الثلاثة، وسوسنة، وبال والتنين.

وللرد نقول إن هناك خطأ في العنوان (حذف أسفار بكاملها) وهو ما يقوله العامة عن هذه الكتب (الكتب المحذوفة). إلا أنها ليست كذلك، بل هي كتب مضافة اكتشفها القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي وسماها (الأبوكريفيا) ومعناها الكتب المخبأة. وهي من أصل يهودي، واعتبروها كتب قراءة، ورفضوا نسبتها إلى الكتب المقدسة للأسباب الآتية:

١ - لغتها ليست العبرية التي هي لغة أنبياء إسرائيل لكنها مكتوبة باليونانية.

٢ - لم تظهر إلا بعد انقطاع النبوة، وآخر الأنبياء ملاخي.

٣ - ورد في كتاب الحكمة أنه من كتابة سليمان، ولكن الكاتب استشهد ببطلان أقوال إشعياء وإرميا مع أنهما كانا بعد سليمان بمدة طويلة، وقال أيضا إن اليهود كانوا أذلاء بينما كانوا في أيام سليمان في غاية العز والمجد.

٤ - لم يذكر أي كتاب منها أنه وحي، ولا توجد فيها أية نبوة، بل اعتذر كاتب حكمة سيراخ عن السهو والخطأ، كما قال كاتب المكابيين الثاني (١٥: ٣٦ - ٤٠) فإن كنت أحسنت التأليف أصبت الغرض، فذلك ما كنت أتمنى. وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي. ثم كما أن شرب الخمر وحدها أو شرب الماء وحده مضر، إنما تطيب الخمر ممزوجة بالماء وتعقبها لذة وطربا، كذلك تنميق الكلام على هذا الأسلوب يطرب مسامع مطالعي التأليف.

٥ - لم يعتبرها اليهود منزلة ولم يستشهد بها السيد المسيح أو تلاميذه ولا الآباء الأولين ولا المؤرخين أمثال فيلو ويوسيفوس .

٦ - منافية لروح الوحي، فحكمة ابن سيراخ يذكر تناس الأرواح، والتبرير بالأعمال، وجواز الانتحار وجواز الكذب (يهوديت ٩: ١٠، ١٣). ونجد الصلاة من أجل الموتى في ٢ مكابيين ١٢: ٤٥-٤٦) وهذا يناقض لوقا ١٦: ٢٥-٢٦ وعب ٩: ٢٧).

٧ - قال الأب متى المسكين في كتابه (الحكم الألفي طبعة ١٩٩٧ ص ٣): كتب الأبوكريفا العبرية المزيفة، التي جمعها وألفها أشخاص كانوا حقا ضالعين في المعرفة ولكن لم يكونوا مسوقين بالروح القدس (٢بطرس ١: ٢١) مثل كتب: رؤية عزرا الثاني، وأخنوخ، ورؤية باروخ وموسى وغيرها. ثم قال في هامش الصفحة نفسها (تسمى هذه الكتب بالأبوكريفا المزيفة، وهي من وضع القرن الثاني قبل الميلاد وفيها تعاليم صحيحة وتعاليم خاطئة وبططان الضلالات الخطيرة مختلطة بعضها ببططان. ولكنها ذات منفعة تاريخية كوثائق للدراسة).

٨ - أسفار التوراة صارت قانونية أيام عزرا ونحميا سنة ٤٣٥ ق م وهي ذات الأسفار الموجودة بين أيدينا اليوم (٣٩ سفر في العهد القديم).

٩ - مجمع جامنيا سنة ٩٠ ميلادية يقرر قانونية الأسفار من تكوين إلى ملاخي وهي مثل التي بين أيدينا اليوم.

١٠ - القديس جيروم (ق ٤ م) فصل بين الأسفار القانونية وبين أسفار الأبوكريفا واحتسبها صالحة لتعليم الأخلاق، لكنها لا تصلح لتكوين عقيدة.

قالوا بعد كل هذا الجدل إن إنجيلكم محرف والإنجيل الصحيح هو إنجيل برنابا !!!!

فما هو إنجيل برنابا؟
نعم هناك إنجيل يدعى إنجيل برنابا منقول إلى العربية من النسخة

الإنجليزية سنة ١٩٠٧ بواسطة الدكتور خليل سعادة صاحب مكتبة المنار، وقبله بطران إخواننا المسلمين لسبيين:

١ - إنه يقول إن المسيح ليس ابن الله بل إنسان عادي.

٢ - إنه يقول إن المسيح لم يُصلب بل أُلقي شبهه على يهوذا الإسخريوطي أحد التلاميذ الاثني عشر.

يجمع العلماء المدققين على أن هذا الكتاب مزور ولم يكن موجودا قبل القرن الخامس عشر، أي بعد موت برنابا ب١٥٠٠ سنة، كما أنه غير موجود في مخطوطات الكتاب المقدس.

ويكتب الدكتور سال في ترجمته الإنجليزية للقران أنه وجد نسخة من هذا الكتاب باللغة الأسبانية كتبها رجل يدعى مصطفى العرندي الذي يدعي أنه ترجمها من النسخة الإيطالية، جاء في مقدمتها:

١ - راهب يدعى فرمارينو كان مقربا للبابا إسكستوس الخامس دخل ذات مرة سنة ١٥٨٥ ميلادية مكتبة البابا فعثر على رسالة للقديس إيريناوس يهجو فيها الرسول بولس مسندا تنديده إلى إنجيل برنابا. فتحرق شوقا لرؤية هذا الإنجيل. وحدث أن دخل يوما إلى المكتبة البابوية مع البابا إسكستوس، وفيما هما يتحدثان استولت على البابا سنة من النوم، فاقتنص الراهب الفرصة وبحث عن الكتاب فوجده وأخفاه في ثيابه ولبت جالسا إلى أن استفاق البابا من النوم، فاستأذنه بالانصراف حاملا معه إنجيل برنابا.

هذه القصة لا نصيب لها من الصحة لعدة أسباب:

١ - من يراجع مؤلفات القديس إيريناوس لا يجد فيها إشارة إلى إنجيل برنابا ولا إلى نقد للرسول بولس.

٢ - وقوع سبات على البابا بناء على صلاة الراهب وعوده على الكتاب وسرقته دون أن يراه أحد، كلها تصرفات أقرب إلى الروايات المصطنعة، وليست تصرفات مؤمنين وأصدقاء. وهل يستجيب الله لصلاة غرضها

السرقته؟! !!

٣- مكتوب في سفر الأعمال أن برنابا نفسه كان رفيقا لبولس في كرازته في اورشليم وأنطاكية وإيقونية، مما يدل على أنه كان مؤمنا بإنجيل المسيح الذي يتلخص في "المسيح مات كفارة لخطايانا وقام في اليوم الثالث". ويميل بطران العلماء المدققين إلى الاعتقاد بأن كاتب إنجيل برنابا هو الراهب فارمارينو نفسه بعد أن اعتنق الإسلام وتسمى باسم مصطفى العرندي. ويميل بطران آخر إلى الاعتقاد بأن النسخة الإيطالية ليست النسخة الأصلية بل منقولة عن أصل عربي، لأن مطالع الكتاب يرى أن للكاتب إلماما واسعا بالقرآن لدرجة أن نصوصه تكاد تكون ترجمة حرفية لآيات قرآنية.

على أي حال فالثابت أن هذا الإنجيل يروي تاريـد المسيح بأسلوب يتفق مع نصوص القرآن، ويغايـر محتويات الأناجيل الصحيحة، مما يحملنا على الاعتقاد بأن الكاتب نصراني اعتنق الإسلام للأسباب الآتية:

١ - تفضيله محمد على المسيح: فقد جاء في الفصل ٤٤: ٣٠، ٣١ أ المسيح قال "ولما رأيتـه امتلأت عزاء قائلاً: يا محمد ليكن الله معك، وليجعلني أهلاً أن أحمل سير حذائك، لأنني إن نلت هذا صرت نبيا عظيما و قدوسا. وفي الفصل ٩٧: ١٠ قال المسيح: "مع أني لست مستحقا أن أحمل حذاءه فقد نلت نعمة ورحمة".

٢ - فيه عبارات تتفق مع كتابات المسلمين القدماء: الفصل ٩٨: ١٤-١٨ أجاب يسوع أن اسم مسيا عجيب، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووصفها في بهاء سماوي قال: اصبر يا محمد لأنني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمعا غفيرا من الخلائق، التي أهبها لك، حتى أن كل من يباركك يكون مباركا، وكل من يلعنك يكون ملعونا. ومتى أرسلناك إلى العالم أجعلك رسول للخلاص وتكون كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض تهان ولكن إيمانك لا يهن أبدا. إن اسمه المبارك محمد، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولا، يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم.

على أن هناك أدلة تثبت أن كاتب إنجيل برنابا لا صلة له برسول المسيح

ولا تلاميذه:

١ - جهله بجغرافية فلسطين والبلاد التي كانت مسرحا للأحداث:

في الفصل ٢٠: ١، ٢ - وذهب يسوع إلى بحر الجليل ونزل في مركب مسافرا إلى الناصرة، مدينته، فحدث نوء عظيم في البحر (والمعروف أن الناصرة مدينة على جبل مرتفع في الجليل وليست مدينة بحرية).

الفصل ٦٣: ٢٤- اذكروا أن الله عزم على إهلاك نينوى لأنه لم يجد أحدا يخاف الله في تلك المدينة، فحاول الهرب إلى طرسوس خوفا من الشعب، فطرحة الله في البحر، فابتلعتة سمكة وقذفته على مقربة من نينوى. (المعروف أن مدينة نينوى كانت عاصمة للإمبراطورية الآشورية وقد شيدت على الضفاف الشرقية من نهر دجلة على فم رافد اسمه رافد الخسر، فهي إذا لم تكن على البحر الأبيضان المتوسط).

٢ - كتابته لقصص لا أساس لها في الأديان السماوية (الفصل ٣٥: ٢٥-٢٧)

حينئذ قال الله لأتباع الشيطان: توبوا واعترفوا بأني أنا الله خالقكم، أجاوبوا: إننا نتوب عن سجدونا لك لأنك غير عادل.. ولكن الشيطان عادل.. ويريء.. وهو رينا.. ويصق الشيطان حين انصرافه على كتلة التراب، فكان للإنسان بسبب ذلك سرّة في بطنه. (والمعروف أن سرّة الإنسان هي مكان اتصال الجنين بالأم وتقطع حينما يولد وهو ما يعرف باسم الحبل السري).

الفصل ٥١: ٢٠٤- أجاوب يسوع الحق أقول لكم: إنني عطفت على الشيطان لما علمت بسقوطه، وعطفت على الجنس البشري، الذي يفتنه ليخطئ، لذلك صليت وصمت لإلهنا الذي كلمني بواسطة ملاكه جبريل: ماذا تطلب يا يسوع وما هو سؤالك؟ أجبت: يا رب أنت تعلم أي شر كان الشيطان سببه، وأنه بواسطة فتنته يهلك كثيرون وهو خليقتك.. فارحمه يا رب. أجاوب الله: يا يسوع انظر فإني أصفح عنه فاحمله على أن يقول فقط: أيها الرب إلهي لقد أخطأت فارحمني، فأصفح عنه وأعيده إلى حالته الأولى. قال يسوع: لما سمعت هذا سررت جدا موقنا أنني قد فعلت

هذا الصلح. لذلك دعوت الشيطان فأتى قائلاً: ماذا يجب عليّ أن أفعل لك يا يسوع؟ أجبت: إنك تفعل لنفسك أيها الشيطان لأنني لا أحب خدمتك، وإنما دعوتك لما فيه صلاحك. أجاب الشيطان: إذا كنت لا تود خدمتي فإنني لا أود خدمتك لأنني أشرف منك، فأنت لست أهلاً لكي تخدمني، أنت يا من هو من طين أما أنا فروح.

٣ - جاء في الفصل ٩٧ أن اليوبيل يقع كل مائة عام مع أنه كل خمسين عام حتى وجود المسيح على الأرض (لاويين ٢٥: ١١). أما كل مائة عام هذه فكان بأمر البابا بونيفاس الثامن سنة ١٣٠٠ ميلادية.

٤ - جاء في الفصل ٢٢٠ أن نيقوديموس وضع ١٠٠ رطلاً من العطور على جثة يهوذا ظناً منه أنه المسيح. مع أن العثمانيين كانوا أول من استعمل الرطل في القرن ١٤ ثم نشرها في البلاد التي فتحوها مثل إيطاليا وأسبانيا.

٥ - جاء في الفصل ١٦١ أن السماء ٩ طبقات عاشرها الفردوس.

جاء في الفصل ٩٣، ٢١٠ ان الجحيم مكون من سبع طبقات

جاء في الفصل ٢٧٠ أن خطايا البشر تعود في النهاية كنهراً إلى إبليس لأنه مصدرها، مع أننا إذا رجعنا إلى الكتب الدينية والفلسفية لا نرى أحداً قال هذا سوى في الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي نرى أن محتويات الكتاب تدل على أنه كتب بعد القرن ١٥ كما أن كاتبه لم يكن من أهل فلسطين، لكن من أهالي غرب أوروبا وبالتحديد من أهالي أسبانيا وذلك لسببين:

١ - جهله بالكثير من جغرافية فلسطين. في الفصل ١٩ ، ٢٠ ، ١٥٧ ، ١٦٦ يقول إن الناصرة وأورشليم ميناءان على البحر، مع أن الناصرة مدينة في السهل وأورشليم مدينة على الجبل.

٢ - في الفصل ٢٦١ أن الحقول والأودية في فلسطين تكون جميلة في الصيف مع أن فلسطين كانت قاحلة في الصيف حيث لا تسقط الأمطار، لكن في الشتاء فقط. أما هذه الحالة فهي في غرب أوروبا.

٣ - في الفصل ١١٦ أنه في فلسطين توجد مقاطع للأحجار والرخام، مع أنه لا توجد في فلسطين بل توجد بكثرة في إيطاليا وأسبانيا.

٤ - في الفصل ١٦٧ اليهود يضعون الخمر في براميل ثم يدحرجونها، مع أنهم كانوا يضعونها في زقاق من الجلد (يشوع ٩: ١٣) أما البلاد المشهورة بحفظ الخمر في براميل فهي غرب أوروبا وخاصة إيطاليا وفرنسا وأسبانيا.

٥ - جاء في الفصل ١٥٣ أن العساكر كانوا يتدربون على الفنون الحربية في زمن السلم. مع أن هذا التدريب لم يكن مألوفاً في فلسطين أثناء حياة المسيح بل في بلاد غرب أوروبا. والخلاصة أن هذا الكتاب يحتوي على كثير من الخرافات و المتناقضات والمبالغات والتجديف.

وأذكر لك شهادة بططان العلماء المعاصرين على أنه إنجيل مزيف:

أولاً: كتب الأستاذ عباس العقاد في صحيفة الأخبار الصادرة في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٩ موضوعاً عن هذا الإنجيل به أربع نقاط رئيسية:

لوحظ في كثير من عبارات الإنجيل المذكور أنها كتبت بصيغة لم تكن معروفة قبل شيوع اللغة العربية في الأندلس وما جاورها.

أن وصف الجحيم في الكتاب يستند إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود والمسيحيين في عصر الميلاد.
أن بططان العبارات الواردة به تسربت إلى القارة الأوروبية نقلاً عن المصادر العربية، وليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن بشارته أمام الألوفا باسم "محمد رسول الله".

٤ - تتكرر في هذا الإنجيل بططان أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه، ولا يرددها المسيحي المؤمن بالإنجيل المعتمدة في الكنيسة الغربية، ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن.

ثالثا: قال الدكتور محمد شفيق غريال في الموسوعة العربية الميسرة تحت كلمة "برنابا" ما يأتي: إنجيل مزيف وضعه أوروبي في القرن الخامس عشر. وفي وصفه للوسط السياسي والديني في القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة، كما أنه يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح، إنما جاء مبشرا بمحمد الذي سيكون المسيح. إزاء هذه الأقوال نقول إن برنابا الحقيقي:

لم يكن من تلاميذ المسيح إذ أنه آمن بعد صعود المسيح (أع ٤: ٣٦)

قانونية كاتب سيرة السيد المسيح تتطلب أن يكون شخصا عاش مع المسيح وعرف بنفسه كل شئ عنه.

الأشخاص الذين استخدمهم الله لتدوين الكتاب كانوا يحاولون دائما إخفاء أنفسهم ولم يذكروا أسماءهم أو شيئا من أعمالهم الهامة. وإن اقتضى الأمر ذكر الاسم يكون للضرورة لتسجيل حقيقة وليس للدعاية.

أما كاتب إنجيل برنابا فهو شخص لم يكن مسيحيا بل يهوديا عاش في القرن ١٥ في أسبانيا (الأندلس) وكانت له فرصة للاتصال بعلماء المسلمين حينما وقعت الأندلس تحت حكم العرب (٧١١ - ١٤٧٢ م) فاعتنق الإسلام ودرس العربية والقرآن كما درس الأحاديث النبوية والعلوم الصوفية والفلسفة الإسلامية وعمل بنفسه إنجيلا جديدا اختار له اسما لتكون له أهمية خاصة، ولفق قصة الراهب فارمارينو. ويعتقد البطران أنه سمى نفسه (مصطفى العرندي).

هلني ؟؟

متى تم هذا التحريف؟ الاحتمالات الموجودة أربعة لا خامس لهم. إما قبل السيد المسيح أو بعده أو قبل الإسلام أو بعده.

إذا كان قبل المسيح قلنا: لا يمكن للأسباب الآتية:
١- اقتبس السيد المسيح منها حين جرب في البرية وكانت إجاباته كلها من التوراة مبتدأ بالقول "مكتوب". فهل يمكن أن يقتبس من كتاب

محرف؟! محرف؟! محرف!؟

٢- قال السيد المسيح يو ٥: ٣٩ لليهود "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية هي التي تشهد لي!؟" فكيف يحيل اليهود ليفتشوا في كتاب محرف.

٣- قال لليهود (يو ٥: ٤٦) موسى كتب عني ذاكرا التوراة فهل يمكن أن يذكر كتابا محرفا؟

وإذا كان التحريف بعد المسيح أي في عصر التلاميذ، قلنا أيضا لا يمكن:

لأن التلاميذ اقتبسوا من التوراة في سرد قصة حياة السيد المسيح مستشهدين بنبوات الكتاب "كما قيل بالنبي القائل، كما قال النبي..". فكيف يستشهدون بكتاب محرف!؟!!

هل يمكن قبل الإسلام؟ نقول: لا يمكن، لأن القرآن ذكر التوراة والإنجيل بخير الكلام وأحلى الصفات مذكرا أهل الإنجيل بإقامة أحكامه، واصفا من لم يقم بها "بالفاسقين" (مائدة ٥: ٤٧) كما أنه ينصح المؤمنين به بسؤال أهل الكتاب في حالة الشك فيما أنزل إليه (يونس ١٠: ٩٤) والمؤمنين بسؤال أهل الذكر، إذا كانوا لا يعلمون (النحل ١٦: ٤٣). ولم يذكر لنا شيئا عن الكتاب المحرف ولا وصية بالبعد والحذر منه وتنبية المؤمنين من أهله حتى لا يختلط الأمر عليهم.

إذا هل يمكن أن يكون تم التحريف بعد الإسلام؟
وبتلك الدعوى يكون النبي والمسلمون قد أخفقوا في تنفيذ أمر الله لهم والذي جاء في س المائدة ٥: ٤٨ مطالبا إياهم أن يحفظوا الكتاب (التوراة والإنجيل) من الضياع والتحريف فيسألون عن ذلك.

كما لم يعلن أحد من الأئمة والمفسرين الأولين عن هذا ويحذرون من المحرف ويروجون السليم، أو قل أضعف الإيمان يحتفظون بالسليم لأنه كلمة الله ليكون شاهدا على أهل البدع والتحريف معلنين آيات التحريف أو الأجزاء التي تم تحريفها بكل وضوح وجلاء حتى لا يلتبس الأمر على المسلم الأمين بل يكون على علم يقين.

عقيدتنا في التالوث

نؤمن نحن المسيحيين بأن الله واحد لا شريك له، خالق السماوات والأرض،
القدير الحكيم، الذي لا بداية له ولا نهاية، الأول والآخر، الرحمن العادل،
القدوس والجواد، الحق الحي، الذي لا يرى ولا يلمس أو يدرك بالحواس
البشرية.

وحينما سأل اليهود السيد المسيح طالبين معرفة أعظم وصية، قال ما جاء
في سفر التثنية ٦:٤ - اسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد.

والكتاب المقدس مليء بالشواهد التي تقر بوحدانية الله، مثل:

خروج ٢٠:٢

-أنا الرب إلهك.. لا تكن لك آلهة أخرى أمامي-

تثنية ٤:٣٥

-لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه-

تثنية ٤:٣٩

-الرب هو الإله في السماء من فوق وعلي الأرض من أسفل ليس سواه-

إشعياء ٤٥:٥

-أنا الرب و ليس آخر. لا إله سواي-

إشعياء ٤٥:١٨

-أنا الرب وليس آخر-

إشعياء ٤٥:٢١

-أليس أنا الرب ولا إله غيري. ليس سواي-

إشعياء ٤٥:٢٢
-لأنني أنا الله و ليس آخر-

إشعياء ٤٦:٩
-لأنني أنا الله و ليس آخر. الإله و ليس مثلي-

رومية ١٠:١٢
-لأن ربا واحدا للجميع-

اكورنثوس ٨:٦
-لكن لنا إله واحد-

أفسس ٤:٥....
-رب واحد. إيمان واحد. معمودية واحدة -

١ تيموثاوس ٢:٥
-لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد-

يعقوب ٢:١٩
-أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل-

وقانون الإيمان الذي نردده في كنائسنا بجميع طوائفنا يقول: "نؤمن بإله واحد".

فنحن موحدون نؤمن وبكل يقين أن الله واحد، لكن وحدانيته ليست
الوحدانية الفردية البسيطة لكنها الوحدانية الجامعة. أن اليهود الذين
آمنوا بالتوراة وحفظوها عن ظهر قلب، والتي تؤكد لهم مرارا وتكرارا أن
الله واحد، نجدهم لم ينزعجوا حينما قال لهم السيد المسيح: "أنا والآب
واحد". بل استطاعوا أن يفهموا هذه الوحدانية ببعد أعمق وهو أن الجوهر
واحد لكن في تعدد. والأمثلة كثيرة في الكتاب المقدس على أن لفظ
واحد يعنى الاتحاد أو الوحدة. تكوين ١: ٥ - وكان مساء وكان صباح
يوما واحدا-. فهناك مساء وصباح لكنهما يوم واحد.

وفي تكوين ٢: ٢٤ - لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. - فهناك رجل وامرأة. ولكنهما جسد واحد، إشارة إلى الاتحاد التام في الفكر والهدف وأسلوب الحياة وطريقة تربية الأولاد.

هذه الحقائق أعلى من العقل ومع ذلك نقبلها بثقة وفرح لأنها إعلان الله الذي يحبنا ولا يمكن أن يخدعنا، أيضا إن كنت تخضع الله لمفاهيمك البشرية فإنك تحاول المستحيل لأنك محدود والله غير محدود. يقال إن القديس أغسطينوس كان يسير على شاطئ البحر يوما وهو مشغول بهذه الفكرة: كيف أن الله واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، عندما رأى طفلا يحفر في الرمل حفرة ثم يملأها من البحر بواسطة دلو صغير والحفرة لا تمتلئ، فسأل الطفل -ماذا تريد أن تفعل؟- فقال -أريد أن أنقل هذا البحر الكبير ليكون لي أنا في حفرتي-. فقال القديس أغسطينوس لنفسه: -هذا عين ما أفعله الآن. -إني أحاول أن أضع الله غير المحدود في حفرة عقلي المحدود.-

على أن الله دائما يعلن لنا عن ذاته بطرق وأساليب مختلفة في التاريخ ، والضمير، والطبيعة، والكتاب المقدس. ولولا ذلك ما استطاع العقل أن يدرك الكثير، فالله هو الذي بدأ بالإعلان عن نفسه ليحرك فينا العقل والإيمان، وهما ليسا ضدين لكنهما يسيران في اتجاه متواز، لكن العقل دائما قاصر لا يرى غير المنظورات المحسوسات لكن الإيمان يرى ما لا يرى (عبرانيين ١١: ١٣).

قال المرنم في مزمور ١٩ - السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. وقال الرسول بولس: -لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته (رومية ١: ٢٠).. أموره غير المنظورة ترى؟! نعم الله لا يراه أحد ويعيش، ولا تدركه الأبصار. لكن هذه الأمور غير المنظورة يمكن أن نراها من خلال المصنوعات أو الخليقة، التي نرى فيها قدرة الله ونعرف من هو شخصه العزيز المبارك.

قابلتني أخت جزائرية وسألتني: كيف تصفون الله وكأنكم رأيتموه؟ هذا كفر، فالله العزيز الحكيم العالي الكبير لا تدركه الأبصار، وهو عال عن كل ما تقولون علوا كبيرا. فأجبتها: -الفستان الذي ترتدينه

جميل. لا بد أن صانعه فنان. فتقبلت كلماتي وعلى وجهها خجل وحمرة بسيطة. وقالت: هل زرت الجزائر؟ فقلت لا. قالت: وكيف عرفت؟ لأنه فعلاً أشهر مقصدار عندنا. فقلت: من الفستان عرفت صانعه وحكمت عليه أنه فنان. كذلك حينما أرى السموات مرفوعة بغير عمد أقول: سبحانك ربى في قدرتك، فأنت إله كلي الحكمة. وحين أرى الشمس تشرق وتغرب في موعدها منذ آلاف السنين ولم تتغير لحظة، يمكن أن أقول عن الإله إنه مهندس عظيم. فقالت: نعم معك كل الحق.

فهل يمكن أن نرى في خليقة الله من حولنا فكرة التعدد في الوجدانية؟

١- مجالات الحياة على كوكبنا ثلاثة: الأرض، والجو، والبحر.

٢- جوهر الأشياء ثلاثة: جماد، ونبات، وحيوان

٣- قواعد اللغة العربية ثلاثة: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب.

٤- الزمن ثلاثة: ماضي، وحاضر، ومستقبل.

٥- الإنسان ثلاثة: نفس، وروح، وجسد.

٦- المادة ثلاثة: صلب، وسائل، وغاز.

٧- الذرة ثلاثة: نيوترون، وبروتون، وإلكترون.

٨- الألوان الرئيسية ثلاثة: أحمر، وأصفر، وأزرق.

٩- العائلة ثلاثة: الأب، والأم، والأولاد.

١٠- في المقارنات ثلاثة: فوق، وتحت، وعلى ذات المستوى.

١١- في قياس المساحات ثلاثة: طول × عرض × ارتفاع.

١٢- الماء عصب الحياة ثلاثة: ٢ هيدروجين + ١ أكسجين.

١٣- الأعداد ثلاثة: أول الأعداد الفردية هو ٣، لأن الواحد ليس بعدد بل هو أصل الأعداد.

فالطبيعة من حولنا تصرخ في أساسياتها بالثلاثيات. وهناك الكثير. لكنى اخترت الأشياء الأساسية التي بدونها لا توجد حياة مثل المياه والمادة اللتين صنعا منهما الكون. أيضا في قانون العقوبات يعتبر المجرم مستحق عقوبة الجناية بدل الجنحة إذا ارتكب نفس المخالفة ثلاث مرات (مادة ٤٩ عقوبات). والأقوال المأثورة تقول: الحبل المثلوث لا ينقطع، كل شيء بالثلوث يكمل، المرة الثالثة ثابتة، أيام العزاء ثلاثة، القسم الغليظ بالثلاثة، والطلاق بالثلاثة، والصلاة على الذبيحة ثلاثة حتى تكون حسب الشريعة. وطبعاً ليس الغرض من الاقتباسات المذكورة هو الاستدلال بها على أن أقانيم اللاهوت لا بد أن يكونوا ثلاثة. كلا، لأن الله أسمى من أن يقاس بالنسبة إلى أي شيء من الأشياء. بل الغرض هو الاستدلال بها على أنه لو أعلن لنا الوحي أن الأقانيم ثلاثة لما جاز لعقولنا أن تعترض على الإطلاق، لأن هذه الحقيقة تكون متفقة مع الواقع المعروف لدينا.

هل هناك براهين كثايرة على النعد في الوحادانية ؟

١- اسم الجلالة: اسم الجلالة في اللغة العبرية -إيل- بالمفرد وقد جاء ٢٥٠ مرة. واسم الجلالة في الجمع هو -إلوهيم- وقد جاء ٢٥٠٠ مرة. وقد قيل إن هذا للتعظيم، فحينما تنطق اسم الله لا بد أن تقوله بالجمع مثلما تقول لعظيم - حضرتكم، سيادتكم، فضيلتكم. لكن هذا الأسلوب قاصر على اللغة العربية فقط، ولا يوجد في العبرية، لأنها لو كانت كذلك إذا ما الداعي لوجود الاسم -إيل- بالمفرد ٢٥٠ مرة؟ ثم الملاحظ في العهد القديم كلمات فرعون كانت بالمفرد -أنا- ولم تكن أبدا بالجمع -نحن- مثل تكوين ٤١: ١٥ -حلمت حلما- وليس -حلمنا-. وعندما تكلم يوسف معه خاطبه أيضا بالمفرد مثل تكوين ٤١: ٢٥، ٢٨، ٣٣ -قد أخبر الله

فرعون.. قد أظهر الله لفرعون.. لينظر فرعون..

٢- أقوال الله: في صيغة الجمع والمفرد في أن واحد مثل: تكوين ١: ٢٦
"نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (في صيغة الجمع). ثم الآية
التالية لها في صيغة المفرد تكوين ١: ٢٧ "خلق الله الإنسان على صورته".

تكوين ٣: ٢٣ "هوذا الإنسان قد صار كواحد منا".

تكوين ١١: ٧ "هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم".

إشعياء ٦: ٧ "هتاف السرافيم: قدوس قدوس قدوس رب الجنود".

إشعياء ٦: ٨ "من أرسل (مفرد)؟ ومن يذهب من أجلنا (جمع)؟".

٣- صفات الله: صفات ذات الله عديدة منها مثلا المحبة، والسمع، والكلام. فلو كان الله في وحدانيته الواحد الفرد، العدد الحسابي البسيط، هل كانت محبته قبل الخليقة منذ الأزل عاملة أم عاطلة؟ إن قلت عاطلة وتغيرت بالخليقة وأصبحت عاملة فيكون إليها متغيرا وفي حاجة إلى خليقته!! حاشا لله أن يكون متغيرا أو محتاجا. إذا لا بد أن تكون وحدانيته جامعة من أب وابن وروح قدس، منذ الأزل والأب يحب الابن والابن يحب الأب، فالمحبة فيه عاملة، إذا هو لا يتغير. هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد (عبرانيين ١٣: ٨). خلق الخليقة لم يؤثر عليه لأنه في حالة اكتفاء بذاته، فهو ليس محتاجا إلى خليقته في شيء. وكمال الصفة هي أن تكون فعل وفاعل ومفعول به. فالله سبحانه هو الحب وهو المحب وهو المحبوب منذ الأزل وإلى الأبد. فلا بد أن تكون وحدانيته الوحدانية الجامعة حتى تكون صفاته عاملة منذ الأزل.

إذا ما هي عقيدتنا في الثالث ؟

نقول إن الله سبحانه الذي أوجد كل واحد ذات متفردة منفصلة قائمة بذاتها، هل يمكن أن يكون هو عز وجل بدون ذات إلهية!! حاشا. لا بد أن يكون موجودا بذاته. والذات هي سبب الوجود، فأنا بذاتي حينما

أنجبت وأصبح لي أولاد أطلق علي اسم "أب". والله القدير خلق الخليقة وأوجدها بذاته، فهل يمكن أن نطلق عليه "أبو الخليقة"؟ نعم وبكل تأكيد، فنحن نطلق على الوجود الذاتي لله لفظ "الأب" ولا نقصد به الأبوة الجسدية الناتجة عن وجود زوجة وتزاوج وتناسل وإنجاب، بل هي أبوة روحية مثلما نقول: الرئيس أب المصريين، إبراهيم أب المؤمنين.

هذا الإله الموجود بذاته خلقتني ناطقا بالكلمة، فهل يعقل أن يكون هو بذاته غير ناطق بالكلمة؟! حاشا لله.

ولأن العقل يفكر ويتممظان ويولد فكرة فدائما نقول إن الفكرة وليدة العقل، كما نقول عن "الكلمة بنت شفة"، وحللت هذه المشكلة من بنات أفكارى، والشفاه تتحرك فتخرج كلاما. فالكلمة ولأنها وليدة العقل يمكن أن نطلق عليها لفظ "الابن". وهو ما سمي في اليونانية "اللوجوس" والتي جاءت منها الكلمة الإنجليزية "لوجيك" بمعنى العقل أو المنطق لذلك نسمى نطق الله "بالابن". ولفظ الابن لا يعنى وجود أب وأم وتزاوج وتناسل، لكن المعنى الروحي هو المقصود، مثلما تقول "ابن مصر، ابن النيل، ابن العلم، ابن الوطن، ابن السبيل".

نقول أيضا أن الله الموجود بذاته الناطق بكلمته خلقتني حيا بالروح، فهل يمكن أن يكون هو ذاته غير ذلك، كأن يكون قوة أثيرية أو كهرباء أو مغناطيسية؟! حاشا لله، فهو الحي إلى أبد الأبد. هذه الحياة نطلق عليها "الروح القدس". لذلك فالله الواحد الموجود بذاته الناطق بكلمته الحي بروحه هو الأب والابن والروح القدس، ونحن بذلك لا نقول ثلاثة بل إله واحد.

من أين جاء هذا الكلام ؟

الكتاب المقدس يعلن لنا هذا الفكر في آيات كثيرة اخترت لك بعضها:

تكوين ١: ١ - في البدء خلق الله السموات والأرض.

تكوين ١: ٢ - وروح الله يرف على وجه المياه.

تكوين ١: ٣ - وقال الله ليكن نور.

مزمور ٣٢: ٦ - بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فمه كل جنودها.

إشعيا ٤٨: ١٦ - منذ وجوده أنا هناك والآن أرسلني السيد الرب وروحه.

متى ٣: ١٦، ١٧ - وإذا السموات انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وأتيا عليه وصوت من السماء قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

متى ٢٨: ١٩ - فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. ولم يقل بأسماء لأنه واحد وليس ثلاثة.

لوقا ١: ٣٥ - الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله.

٢ كورنثوس ١٣: ١٤ (البركة الرسولية): نعمة ربنا يسوع المسيح، محبة الله، شركة الروح القدس مع جميعكم.

ما الداعي لوجود عقيدة الثالوث؟

ظهرت بدع كثيرة وهرطقات في القرون الأولى من الميلاد مثل بدعة أريوس الذي قال إن السيد المسيح ليس إلها، بل هو أقل من إله. وهو ليس إنسانا بل هو أعلى من إنسان، بمعنى أنه حالة وسط بين الاثنين. فاجتمع قادة الكنيسة (٣١٨ أسقفا) في مدينة نيقية عام ٣٢٥م وبحثوا في الكتاب المقدس عن شخص السيد المسيح من هو. وكان أحد الموجودين في هذا المجمع هو بطل الإيمان القديس الإسكندري أناسيوس الرسولي، وهو الذي قاد هذه الحملة ضد أريوس وأتباعه حتى انتهت هذه البدعة وصدر قانون الإيمان الذي يدرج فكر أريوس معلنا أن السيد المسيح هو الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس.

* بدعة أبوليناريوس الذي يقول فيها إن المسيح إنسان تآله.

* بدعة سايبيليوس الذي يقول إن الله ظهر كمن يلبس قناعا مناسباً لكل مرحلة فلبس قناع الأب حينما خلق العالم، ثم ارتدى قناع الابن

ليتمم الفداء. وأخيرا لبس قناع الروح القدس ليملك معنا ويحامي عنا
ويذكرنا بكل التعاليم الصالحة.

* في القرن الخامس الميلادي ظهرت جماعة وثنية عبدت النجوم، وأطلقت
على كوكب الزهرة اسم "ملكة السماء". وعندما آمن أتباع هذه
الجماعة بالمسيحية أرادوا أن تكون لهم ملكة في السماء، فأخذوا
القديسة العذراء مريم ملكة لهم، وأصبحثالوثهم هو الأب والابن والعذراء
مريم. وهو بكل تأكيد ثالوث خاطئ قاومته الكنيسة في أوائل القرن
السادس حتى أنهته.

ما فائدة التعليم بالثالوث؟

قصد الله بإعلانه عن نفسه أن يربي الإنسان في التقوى لكي يعرفوه
المعرفة التي تجعلهم يتشبهون به في قداسته وكمال رحمته ومحبته. وهذا
نجده واضحا في جميع الأمم الذين تعبدوا لآلهة متعددة. فالذين كانوا
يعبدون آلهة الحرب كانوا يرضونها بكثرة القتل وسفك الدماء. والذين
كانوا يعبدون باكوس إله الخمر كانوا يرضونه بالإكثار من شربها
وهكذا .

إذا قصد من تعليم التالوث هو:

١- يرفع شأن اللاهوت ويوضح كمالاته في ذاته منذ الأزل.

٢- وسيلة إعلان الله عن نفسه للخليقة: فالآب والابن والروح القدس إله
واحد. فالابن يعرف الآب كمال المعرفة لذلك يقدر أن يعلنه بكماله،
وكذلك الروح القدس. فبواسطة الأقانيم الثلاثة يقترب اللاهوت تمام
الاقتراب إلى المخلوقات المحدودة .

٣- وسيلة إتمام عمل الفداء، فالابن الأقنوم الثاني تجسد وظهر في العالم
وكفر عن خطايا الناس وشفع في المذنبين ورتب كل وسائل التبرير
والمصالحة بين الله والناس وتمم الخلاص.

٤- يجعل الله مثالا للحياة البشرية التي يجب أن تكون، وذلك فيما

يتعلق بالمعاشرة الحبية والألفة الأهلية وذلك بمعاشرة الأقانيم الثلاثة معا بالمحبة والألفة والاتحاد، فترى حقيقة الأبوة والبنوة ويتميز جنسنا عن غيره. فلو جردنا اللاهوت من كل شعور المحبة للغير لجعلناه قوة مجردة وسلبناه صفة الألفة الحبية.

الثالث الطحارب:

على أن الثالث الذي حاربه الإسلام غير تثليث المسيحيين، لأن الإسلام نظر إليهم كقوم موحدين، فقال: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم. وقولوا: أمانا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون" (العنكبوت ٢٩: ٤٦) وجاء في سورة البقرة ٢: ٦٢ "ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون". كذلك حرم على المسلم الزواج من المشركات إلا إذا أسلمن: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن". ولكنه سمح للمسلم أن يتزوج مسيحية وتبقى على دينها وهذا يعنى أنها غير مشركة. كما أن هناك آية تفصل بين المشركين والنجاري تقول "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري، ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون" (المائدة ٥: ٨٢).

لذلك فالثالث الذي حاربه الإسلام هو ثالث خاطئ ينادي بالولادة التناسلية والتزاوج والتعدد في الذات الإلهية بدليل الآيات الآتية:

النساء ٤: ١٧١ "ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله واحد"

ونحن لا نقول أن الله ثلاثة بل واحد.

المائدة ٥: ٧٢: "لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة."

ونحن أيضا لا نقول هذا بل نعلن أن كل من يقول هذا فقد ضل ضلالا

بعيدا.

أما الثالث المحارب فهو ثالث المريميين الذي ذكرناه، بدليل قوله في سورة
المائدة ٥: ١١٦:

- واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله!

نلخص عقيدتنا عن الله في الآتي:

١-الله (اللاهوت) لا شريك له ولا تركيب فيه، لكنه يتميز عن كل
الموجودات بأنه مع وحدانيته وعدم وجود تركيب فيه، ليس أقنوما بل
ثلاثة أقانيم.

٢-ليس الأقانيم ثلاث ذوات في الله ، لأن الله (اللاهوت) ذات واحدة، وليس
ثلاثة مظاهر له، لأنه في ذاته ليست له مظاهر. وليس ثلاثة أجزاء فيه، لأنه
لا تركيب فيه بل هم عين ذاته.

٣-وان كان كل أقنوم غير الآخر، لكن نظرا لأنهم عين اللاهوت(أو الله
معينًا) فإنهم واحد في كل الصفات والخصائص، ولا انفصال لأحدهم عن
الآخر على الإطلاق. فمنذ الأزل الذي لا بدء له إلى الأبد الذي لا نهاية له،
الله هو (الأب والابن والروح القدس) وهم الله الواحد.

عأن معاني أسماء الأقانيم ليست المعاني الحرفية أو المجازية المستعملة
لدى البشر، بل المعاني الروحية الإلهية التي تتوافق مع وحدانية الله وتفرد
باللاهوت والأزلية، وعدم التعرض للتغير أو التطور. والغرض الوحيد منها
هو الإعلان عن أنه تعالى مستغن بذاته عن كل شيء سواها، فنسبة
الأب في اللاهوت تدل على المحبة الباطنية فيه، ونسبة(الابن) في اللاهوت
تدل على المحبة الظاهرة فيه، ونسبة (الروح القدس) تدل على المحبة
المتبادلة العاملة فيه، منذ الأزل الذي لا بدء له.

٥- لذلك فوحدانية الله هي الوحدانية الجامعة المانعة، والتي وحدها تليق

بجلاله لأن بها تكون له ذاتية خاصة، ويكون متصفا بكل الصفات
الإيجابية اللائقة بكماله، وتكون هذه الصفات ليس بالقوة بل
بالفعل ومنذ الأزل هي عاملة، لذلك فلم يعترضه تغيير أو تطور، ولا جد
عليه جديد نتيجة خلق العالم.

الصلب

نؤمن نحن المسيحيين أن المسيح صلب ومات وقبر، وبعد ثلاثة أيام قام، ثم ظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً، ثم صعد إلى السماء. وهو جالس الآن عن يمين العظمة في الأعالي، ومنتظره يأتي ليدين الأحياء والأموات. لكن هناك من يشكك في تاريخية الصلب مدعياً عدم حدوثها ويسألنا البراهين على ذلك. ومع أن الواجب عليه هو أن يثبت صحة دعواه، لكننا بالمحبة المسيحية لا نطلب ذلك، بل نقدم براهيننا على صحة حادثة الصلب وحدثها في قلب الزمان والتاريخ، رغبة منا في فائدة الذي يسأل بعيداً عن المباحثات الغيبية التي حذرنا منها الرسول بولس لأنها تولد الخصومات، وعبد الرب يجب أن لا يخاصم أحداً.

البرهان الأول - شهادة الآثار:

* اكتشف العلماء الفرنسيون في إيطاليا عام ١٢٨٠ بمدينة نابولي أيام زحف فيليب الرابع ملك فرنسا صورة الحكم بصلب السيد المسيح، مدون فيها الأسباب التي أدت إلى هذا الحكم وأسماء الشهود الذين حضروا المحاكمة.

* عثر العلماء الألمان في روما على رسالة مرفوعة من بيلاطس البنطي إلى طيباريوس قيصر يحكي له فيها عن صلب السيد المسيح وملابسات الحادث. وقد حفظت هذه الرسالة في الفاتيكان، وكانت معروفة عند القدماء، وأشار إليها الفيلسوف يوستينوس عام ١٣٩م و العلامة ترنتيان عام ١٩٩م.

* وجود صور ونقوش توضح الصلب في القرنين الأول والثاني (كتاب الاكتشافات الحديثة وصدق وقائع العهد الجديد تأليف السير وليم رمزي) فلو لم يكن الصلب قد حدث فعلاً ما تشير هذه النقوش؟

* جميع الكنائس الأثرية في القرون الأولى بها أماكن للمعمودية

وصور العشاء الرباني، ومعلق فيها الصليب. فان لم يكن الصليب قد حدث، ولو أن يسوع الذي يؤمن به المسيحيون لم يصلب فعلا، فلماذا اتخذ المسيحيون الصليب شعارا لهم، وما معنى وجود كل هذا في الكنائس الأولى؟

البرهان الثاني - شهادة مؤرخين غير مسيحيين:

* المؤرخ كارنيليوس تاسيتوس المولود عام ٥٥م والذي كان حاكما في آسيا الصغرى عام ١١٢م، كتب لصديق له يدين فيه نيرون بإحراق روما والذي كان قد اتهم المسيحيين بحرقها قائلا: "إن المسيح مصدر هذا الاسم، قد قتل في عهد بيلاطس البنطي حاكم اليهودية أثناء سلطنة طيباريوس قيصر. وقد أمكن السيطرة على خرافة المسيح، لكنها عادت وانتشرت لا في اليهودية فقط حيث نشأ هذا الشر، لكن في روما أيضا. ومن تعليق هذا المؤرخ الوثني نرى أنه يصف المسيحية بأنها خرافة وشر عظيم، لكنه يقول إن المسيح قد قتل.

* المؤرخ اليوناني لوسيان: كاتب هجائي تحدث باحتقار عن المسيحية والمسيحيين في القرن الثاني الميلادي بأسلوب هجائي قائلا: "الرجل الذي صلب في فلسطين لأنه جاء بديانة جديدة إلى العالم، فوق ذلك قال لأتباعه إنهم إخوة لبعضهم البعض. بعد أن أخطأوا برهطان آلهة اليونان وعبادة السوفسطائي المصلوب. يتعدى على السيد المسيح له المجد لكنه يدعوه "المصلوب".

المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس وُلد عام ٣٧م وكان قائدا للقوات اليهودية في الجليل عام ٦٦م وهو الآن من المؤرخين المعتبرين لدى اليهود مثل الصحيحين عند إخواننا المسلمين، كتب يقول: "في هذا الوقت كان يسوع الرجل الحكيم إن كان يحق لي أن أدعوه رجلا لأنه عمل أعمالا عجيبا وعلم تعاليم قبلها أتباعه بسرور، ف جذب لنفسه كثيرين من اليهود والوثنيين. إنه المسيح. عندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بناء على نصيحة قادة شعبنا لم يتركه أتباعه لأنه ظهر لهم حيا بعد اليوم الثالث كما سبق للأنبياء والقديسين أن تنبأوا عن هذا، أما الطائفة التي تبعتها فهي طائفة المسيحيين الموجودة إلى يومنا هذا.

الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "حياة المسيح" الصادر عام ١٩٥٨ كتب دفاعا عن الأناجيل يقول: "ليس من الصواب أن يقال إن الأناجيل جميعا عمدة لا يعول عليها في تاريخ السيد المسيح، لأنها كتبت عن سماع قريب ولم تكتب عن سماع بعيد في الزمن والمكان، ولأنها في أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنسخ، ولأنها روت من أخبار الحوادث ما لم يذكره أحد من المؤرخين. إنما الصواب أنها العمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ . وليس في أيدينا مرجع أوفى منها لدرس حياة السيد المسيح والإحاطة بأطوار الرسالة وملابساتها. والأستاذ العقاد يعترف بصحة الأناجيل، والأناجيل تذكر حادثة الصليب. فهذا اعتراف ضمني منه بصحة وتاريخية الصليب.

شهادة التلمود: وهي مجموعة الشرائع اليهودية التي تم تناقلها شفويا حتى أخذت وضعها النهائي وكتبت باللغة العبرية في القرن الثاني الميلادي، وهي تعني "التعليم". جاء في التلمود المطبوع في أمستردام عام ١٦٤٠ في فصل السنهدريم: "أن يسوع نودي أمامه مدة أربعين يوما أنه سيقتل لأنه ساحر وقصد أن يخدع إسرائيل ويضله. وبما انه لم يتقدم أحد للدفاع عنه، صلب المسيح مساء عيد الفصح".

البرهان الثالث - الكنيسة والرسل:

منذ القرن الأول قامت الكنيسة بكتابة قانون إيمانها وضمنته حادث الصلب، وأول قانون نجده في الكتاب المقدس هو ما كتبه الرسول بولس: "فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفاء ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا" (١كورنثوس ١٥: ٦-٣). نعم إيماننا أن يسوع صلب ومات ودفن وفي اليوم الثالث قام وراه كثيرون. وكان الرسول بولس يقول: "أكثرهم باق إلى الآن، فذهبوا وتحققوا منهم صدق قولي، فشهادة الشهود العيان أقوى شهادة". فمنذ ألفي عام ومازلنا وحتى الآن نكرر هذا القانون في كل وقت وفي كل كنائسنا. فلو لم يكن المسيح قد صلب فعلا في قلب الزمان والتاريخ فعلام يدل هذا القانون!!! لم نسمع أن أحد الآباء جاء

وقال: ينبغي أن يتغير هذا القانون لأننا اكتشفنا أنه لم يصلب لذلك لا داعي للقول إنه صلب وقبر وقام.

البرهان الرابع - شهادة النلاميذ:

شهود العيان الذين عاشوا الأحداث يوماً بيوم وحكوا لنا خبر الصليب واتهموا اليهود بأنهم صالبوه، وكان هذا بعد أيام قليلة من الصلب وعلى بعد عدة أمتار من جبل الجلجثة، ولم يكن الناس قد نسوا ما حدث. وحينما وقف بطرس في جماعة من اليهود تزيد على الخمسة آلاف نفس وقال لهم في شجاعة: "أنتم بأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه" وكان رد فعلهم الصمت المطبق!!!!

وكان بين السامعين اليهود كتبة هم حفظة الناموس ومنهم كهنة وفريسيون، وهم أشرف القوم، بينما المتكلم صياد جاهل لا حسب له ولا نسب، ولا تعلم على أيدي أحد من ربانية اليهود حتى يقول هذا القول لأسياده، وتكون النتيجة صمتهم!!!! لا بد أن كلام بطرس صحيح، والأحداث مطابقة للواقع الذي عاشوه. لذلك صمتوا. نعم أروع وأصدق شهادة والتي يؤخذ بها في المحاكم، فكل قول يقوم على فم شاهدين، ونحن أمام خمسة آلاف شاهد من ثقافات مختلفة واتجاهات فكرية مختلفة وأعمار مختلفة، والجميع يجمعون على موقف واحد هو أن ما يقوله بطرس صحيح مائة في المائة. نعم رأوه يصلب هو بعينه، لأنه عاش بينهم ما يزيد على الثلاثين عاماً أجرى خلالها معجزات مبهرة وتكلم فيها أعظم الكلمات الخالدة، كل هذا حفر صورته في أذهانهم وعيونهم وضمائهم، حتى لم يغيب عنهم لحظة ولن يغيب.

البرهان الخامس - شهادة الافنخار:

يقول الرسول بولس لأهل غلاطية ٦: ١٤ "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم". بولس يفتخر بالصليب!!!! يفتخر بأن قائده أعدم على أداة إعدام بشعة!!!!، ألم يكن هناك شيء أجمل يفتخر به؟ أما كان يجب أن يفتخر بأن قائده قد أقام موتى، وفتح عيون عمي، وشفى برص، وأقام مفلوجا، لكن الافتخار بوسيلة إعدام بشعة وبنهاية غير سعيدة لا بد أن

يكون وراءه سر لا نعرفه وثمره مباركة حصدها بولس، فدفعته لهذه الشهادة الغريبة والافتخار العجيب.

ولكي نوضح فكرة بولس نقول هذا المثل عن عائلة المشنوق:

عائلة تقرر أن تغيّر اسمها من عائلة العم فانوس إلى عائلة المشنوق، وتسمي أفرادها جرجس المشنوق، وإيمان المشنوق، وعادل المشنوق. وتعلق مشنقة على صدور نسائها ويطبعه رجالها على أياديهم وتتميز به بيوتهم ومقابرهم وأماكن عبادتهم. فنسأل كبيرهم: لماذا هذا التغيير؟ ألم يكن اسم فانوس أكثر إشراقاً؟ فيقول: جدنا الأكبر فانوس كان رجلاً ثورياً مناضلاً ضد الاستعمار، عبأ الرأي العام ضد المحتل وكوّن خلايا لمناهضته وإغلاق راحته، فما كان من المستعمر إلا أن شنق الجد فانوس. فقام الشعب بثورة عارمة طرد على أثرها المستعمر وتحررت البلاد ونالت استقلالها. لهذا قرّرت عائلتنا أن تغيّر اسمها بعائلة المشنوق الذي مات في سبيل تحرير الوطن، وقررنا أن نأخذ المشنقة علامة لنا، ليس حبا في الشنق والمشنقة كأداة إعدام بشعة، لكن كوسيلة قدمّ جدنا نفسه عليها من أجل الجميع، ليتمتع كل فرد في الوطن بحرية حقيقية كاملة.

على ذات المنوال يقول الرسول بولس: حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح فلولا المصلوب المقام الذي ظهر له في الطريق إلى دمشق وغير اتجاه حياته مائة وثمانين درجة لكان في ظلام وموت أبدى الآن في الجحيم. فالمصلوب سبب حياته والصليب رمز لما عمله الله في المسيح لأجله. نعم وكل واحد فينا اليوم تغيرت حياته من شقي أقيم ونال حياة جديدة ولبس رداء البر يقول ما قاله بولس ويكرره بحمد وشكر وعرفان للمصلوب الحي إلى أبد الأبد، ويتذكر هذا العمل برفع الصليب كوسيلة أتم بها الله هذا العمل العجيب.

البرهان السادس - العشاء الرباني:

مساء يوم الخميس، في الليلة التي أسلم فيها المسيح اجتمع مع تلاميذه في عليّة لتناول الفصح، ورسم لهم فريضة جديدة هي فريضة العهد الجديد.

يقول البشير متى: "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦: ٢٦-٢٨).

السيد المسيح يقدم خبزا مكسورا رمزا لجسده الذي سيكسر، وكأسا رمزا لدمه الذي سيسفك من أجلهم قبل أن يُصلب. واستمرت الكنيسة منذ نشأتها وحتى اليوم وبمختلف طوائفها تصنع هذه الفريضة التي أسسها سيدها، وأمر أن تصنع لتتذكر موته وقيامته إلى أن يجيء. فلو لم يصلب المسيح ويموت ويقوم لكان ما تصنعه الكنيسة بلا معنى. ولم نسمع عبر ألفي عام أنه قام أحد الآباء ليصحح ما أخطأت فيه الكنيسة ويُلغي هذه الفريضة؟! !!! نعم لم نسمع لأن المسيح صلب ومات وقام بالحقيقة في قلب الزمان والتاريخ .

الرهان السابع - كلمات السيد المسيح:

في بشارة يوحنا ٣: ١٤، ١٥ يقول: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". وكلنا يعرف هذه القصة والتي حدثت بعد عبور بنى إسرائيل البحر الأحمر وتمردهم على الله وعلى موسى وقولهم: "لماذا أصعدتmana من مصر لنموت في البرية؟ لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف" (عدد ٢١: ٥، ٦). فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغتهم ومات كثيرون. فصرخوا إلى موسى وقالوا: "أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات". فصلى موسى لأجل الشعب، فقال الرب لموسى: "اصنع لك حية وضعها على راية. فكل من لدغ ونظر إليها يحيا". وصنع موسى كما أمر الرب. يقيني أن الشعب انقسم فريقين، فريق حينما سمع كلام موسى اضطرب لأن الكلام غير معقول: كيف والسم يسري في جسده يطلب منه أن ينظر إلى قطعة نحاس معلقة على خشبة؟! !!! والغريب أيضا أنه لا اتصال بين الحية النحاسية والشخص المسموم. أليس المعقول أن يقال اربطوا ما بعد الجرح حتى لا يسري السم في الجسم، ثم يشرب الجرح ويفصد الدم كإجراء وقائي أولي؟! !!! لا لن نسمع هذا الكلام.

سنحاول بأنفسنا أن نصنع ما نراه صوابا.. هؤلاء ماتوا.. أما الفريق الآخر فعرف من موسى أن هذا كلام الله وطريقته لإنقاذهم، وهم يثقون فيه وفي قدرته ومحبته، لأنهم اختبروه كثيرا وعرفوا أنه يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر، فأطاعوا ونالوا الشفاء. على ذات المنوال يقول المسيح إنه كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع حتى أن كل من لدغته حية الخطية إبليس وينظر إلى المصلوب يحيا.

والغريب أن الناس ما زالوا منقسمين فريقين: فريق يقول ما هذا الهراء! كيف، ولماذا، ولا يمكن! بينما السم يسري في جسدكم. سيموتون في خطاياهم إن لم ينظروا إلى المصلوب الحي المقام.

قال السيد المسيح أيضا في بشارة يوحنا ١٢:٢٤ الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير.

نعم فحبة الحنطة إن تركتها وحدها في وعاء جاف تبقى وحدها. لكن إن وضعتها على قطعة قطن مبللة تنبت وتصنع ساقا ثم تحمل سنابل، بكل سنبل حبوب كثيرة لأنها دفنت وماتت. والرب يقول عن صلبه وموته إنه مثل حبة الحنطة. ففي حياته تبعه اثنا عشر تلميذا. لكن بعد موته وقيامته وفي أول عظة للرسول بطرس يوم الخمسين آمن ثلاثة آلاف وصاروا خمسة آلاف في يوم ثانٍ. نعم فحبة الحنطة وقعت في الأرض وماتت وأتت بثمر كثير.

البرهان الثامن - القبر الفارغ:

كل الأنبياء ماتوا ودفنوا في قبورهم وما زالت بقاياهم فيها إلا قبر السيد المسيح الخالي منه منذ اليوم الثالث لدفنه، لأنه قام ناقضا أوجاع الموت لأنه رب الحياة الذي لا يمكن أن يمسه الموت. هذه القضية أثارت كثيرا من الجدل، لكنها أيضا كانت سببا في إيمان كثيرين بالسيد المسيح وألوهيته. قال أحدهم: "حيرتني واستوقفتني هاتان الكلمتان القبر الفارغ كيف يكون فارغا ونحن نتفق معكم أن هناك جثة!!! أنتم تقولون إنها للسيد المسيح، ونحن نقول إنها للشبيه، فأين هي؟ وهل يمكن

للشبيهه أيا كان اسمه فهو واحد من التلاميذ الذين فروا هاربين حينما قبطن على معلمهم وأظهروا كل خوف وجزع، لم نسمع أن أحدهم قام بمعجزات مبهرات مثل معلمه فنقول إنه يستطيع أن يقيم نفسه ويخرج من القبر صانعا بذلك معجزة عادية بالنسبة له. وحينما زادت حيرتي سألت أحد العلماء الكبار والمسئولين ليحل لي هذه المشكلة فثار وهاج وماج قائلا: لم يذكر كتابنا شيئا عن القبر الفارغ، ونحن غير مسئولين عن هذه المشكلة. نحن أمام إعلان نتمسك به ولا نخرج عنه ولا نسال عما سواه.!!!! ثم قال: خرجت وكلي ثقة أن القبر للسيد المسيح الذي قام من الأموات لأنه فعلا رب الحياة. وسلمت حياتي له لأنه يستحق، فهو صاحبها.

لكن هناك من يشكك في سبب فراغ القبر مدعيا أن الجسد قد سرق منه!!!! وهنا نسال: من هو السارق؟ عندنا ثلاثة احتمالات: إما أن اليهود أو الرومان أو التلاميذ سرقوه. فهل يمكن أن يسرقه اليهود وهم أصحاب قضية؟ أليس هم الذين ذهبوا إلى بيلاطس كاسرين يوم السبت، طالبين منه أن يختم القبر إلى اليوم الثالث قائلين: يا سيد، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم. لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى (متى ٢٧: ٦٣، ٦٤).

وان قيل إن التلاميذ سرقوه، فكيف لهم أن يسرقوه، وهم الجبناء الذين تركوا سيدهم في أدق المواقف وأنكروه حين سألوهم عنه؟ كيف والقبر عليه حراس مدججين بالسلاح، والحجر كبير لا يمكن لأحد أن يدحرجه!!!!

إذا فهل سرقه الحراس الرومان ؟

لا يمكن أن يعقل هذا لأن القانون الروماني في هذه الحالة كان يوقع على الحارس عقوبة المحروس الهارب. فكيف يسمح الحراس بسرقة الجسد، فيتعرضون للقتل؟؟!!!! ما هي الرشوة التي تجعل شخصا يقبلطان عليه ويفقد حياته؟

وتتضح لنا هذه الحقيقة من قصة سجان فيلبي الذي حاول أن يقتل نفسه حينما وجد أبواب السجن مفتوحة وظن أن المسجونين هربوا، فأراد أن يقتل نفسه قبل أن يقتلوه!!!!!!
حتى الإشاعة التي حاول شيوخ اليهود أن يروجوها بقولهم للحراس: قولوا إن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام (متى ٢٨: ١٣) قصة مفضوحة لأنه كيف يعرف الحراس أن التلاميذ هم السارقون بينما كان الحراس نياما؟ وكيف يقول الحارس إنني كنت نائما في نوبة حراسة؟! ألا يخاف المحاكمة العسكرية بسبب هذا الإهمال!!!

لكن ماذا الصليب ؟

أولا: يقول الرسول بولس: فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. لكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥: ٧، ٨).

نعم الكلام سهل. نقول مثلا: بالروح بالدم نفديك يا فلان. أو: أفديك بعيني. أو: روعي فداك.. هذا كلام جميل. لكن عند التنفيذ لا يستطيع أحد أن يوفي بما وعد به، فالروح عزيزة والعين غالية، والكلام لا يكلف الكثير. لذلك يقول الرسول بولس: بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. لكن في الصليب وبالموت قدم الله برهانا عمليا على محبته لنا، لأنه في ملء الزمان جاء السيد المسيح ليقول للإنسان: ما رأيك في أن أحل محلك أنت المحكوم عليك بالقتل فأموت بذلك، وأنت تحل محلي أنا البريء الحي إلى أبد الأبدين، فتكون لك حياة أبدية؟

وأخذ الإنسان يفكر في هذا العرض المغربي بحذر شديد. وما زال كثيرون حتى اليوم يفكرون: هل أستبدل مكاني بمكانه؟! لكن السيد المسيح اتخذ القرار وبدل مكانه، ونزل تاركا مجده ليقدم نفسه ذبيحة إثم على الصليب كفارة لأجلنا ليموت عن كل واحد فينا، وترك مكانه لكل من يقبل هذا العمل ليحتله. وما زال العرض قائما حتى اليوم.

ولكن هذا العرض سينتهي يوم مجيئه ثانيا، ربما اليوم أو غدا. ربما بعد شهر أو سنة.. لا نعرف.. لذلك فالوقت وقت مقبول واليوم يوم خلاص.. فهل اتخذت قرارك؟ إنه برهان محبة فائقة المعرفة، صادقة وحقيقية وعملية.

انه الصليب برهان الحب.

ثانيا: إنه أداة صلح: أخطأ أبوانا الأولان وسقطا محكوما عليهما بالموت لأن أجرة الخطية هي موت. في ذات الوقت الله عادل ورحيم. في عدله يطالب بتنفيذ الحكم، وفي رحمته يطلب الصفح. وهذان الضدان (إن جاز التعبير) لا يلتقيان، لأن صفات الله متساوية لا يغلب أحدها الآخر، فكيف للعدل والرحمة أن يلتقيا!!!

يقول المزمور: "الرحمة والحق التقيا. البر والسلام ثلاثهما" (مزمور ٨٥: ١٠)، نعم الرحمة والحق أصبحا أحياء، قبل أحدهما الآخر. ويقول الرسول بولس إن المسيح "يصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به (أي بالصليب)" (أفسس ٢: ١٦).

ثالثا: تحقيقا للنبوات:

تنبأ أنبياء العهد القديم كثيرا عن الصليب قبل حدوثه بمئات السنين. فلو لم يكن هناك صليب، فماذا كانت تعني وما هو القصد منها؟! (راجع مزمور ٢٢، إشعياء ٥٣، زكريا ١١، ١٢).

لذلك جاء الصليب ليحقق كل هذه النبوات التي كتبها رجال الله القديسين مسوقين من الروح القدس. فهل الصليب عقيدة نفتخر بها، أم واقع نحياه واختبار معاصر؟

قال الرسول بولس: "مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢: ٢٠). وقال أيضا: "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم" (غلاطية ٦: ١٤). نعم العالم بالنسبة له ميت لا يثير شهوته

وشهيته، وهو قد مات فلا يثير شهية أحد..

الصليب يجعلني لا أفعل أشياء يفعلها كثيرون بسهولة وبساطة، إن الأكل الشهي لا يثير شهية ميت. وقال الرسول بولس: "وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كورنثوس ٥: ١٥).

البرهان الوحيد على عدم صحة صلب المسيح عند إخوتنا المسلمين هو ما جاء في سورة النساء ٤: ١٥٧، ١٥٨ "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا أتباع الظن، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله، وكان الله عزيزا حكيما". وقارئ هاتين الآيتين لا بد أن يسأل عدة أسئلة:

١ - على من نعود كلمة "وقولهم"

أجمع أهل الذكر أن المقصود هم اليهود. فهل قال اليهود يوما إنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم، واعترفوا أنه رسول الله؟

لا نجد في التاريخ ما يؤيد ذلك، بل العكس، فقد أنكروا أن المسيح هو المسيا المنتظر، وأنكر أولادهم أن آبائهم صلبوه، وحاولوا تبرئتهم من هذه التهمة بشتى الطرق والوسائل حتى انهم انتزعوا اعترافا من بابا الفاتيكان ببراءتهم من دم المسيح!!!!

٢ - ما المقصود بالقول "شبه لهم"؟

يقول أهل الذكر من الأفاضل المعتبرين أمثال الطبري، والبيضاوي، والرازي، والزمخشري وابن كثير ما ملخصه:

١- ذهب عيسى مع سبعة عشر تلميذا إلى منزل، ولما أحاط اليهود به وهموا بالدخول، جعل الله كل التلاميذ شبه عيسى حتى ظن اليهود أنهم سحروا، فهددوهم بالقتل إن لم يظهروا عيسى، فسأل عيسى تلاميذه: من يشتري الجنة بشبهي؟ فتبرع أحد التلاميذ وخرج لليهود قائلاً: أنا عيسى.

ولما كان الله ألقى شبه عيسى عليه أخذه اليهود وصلبوه.

٢- حينما حاول اليهود قتل عيسى، رفعه الله إليه فخافوا من وقوع الفتنة من عوامهم، لذلك أخذوا آخر وصلبوه مدعين أنه عيسى، والناس ما كانوا يعرفون عيسى إلا بالاسم.

٣- حينما علم قادة اليهود أن عيسى في أحد المنازل، أرسلوا طيطايوس لإحضاره حتى يصلبوه، ولما ذهب طيطايوس ودخل البيت، رفع الله عيسى إليه وألقى شبهه على طيطايوس، لذلك فهو الذي صلب وقتل.

٤- عيّن اليهود رجلاً لملاحظة عيسى، وحينما ذهب عيسى إلى جبل رفعه الله وألقى شبهه على هذا الملاحظ فقبضوا عليه وصلبوه وهو يقول: لست عيسى.

٥- كان رجل يدعى أنه من أصحاب عيسى عليه السلام وكان منافقاً، فذهب إلى اليهود ليدلهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصلب.

ولنستمع إلى تعليق الإمام فخر الدين الرازي على ما سبق، كما جاء في كتاب التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" في تفسيره لسورة آل عمران ٥٥:

"في إلقاء شبهه على الغير إشكالات: الإشكال الأول:

لو جؤزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة، فإني إذا رأيت ولدي ثم رأيتة ثانياً فحينئذ أجوز أن يكون هذا الذي رأيتة ثانياً ليس بولدي بل هو إنسان ألقى شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الأمان على المحسوسات. وأيضاً فالصحابية الذين رأوا محمداً (صلعم) يأمرهم وبيناهم وجب أن لا يعرفوه أنه محمد لاحتمال أنه ألقى شبهه على غيره وذلك يفضي إلى سقوط الشرائع. وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة على أن

يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات كان سقوط خبر المتواتر أولى. وبالجملة ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

الإشكال الثاني:

وهو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام بأن يكون معه في أكثر الأحوال، هكذا قاله المفسرون في تفسير قوله تعالى (إذ أيدتك بروح القدس) مائدة ١١٠. ثم إن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل عليه السلام كان يكفي العالم من البشر، فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضا أنه عليه السلام لما كان قادرا على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وعلى إسقامهم وإلقاء الزمانه والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرض له؟!

الإشكال الثالث:

أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه!!!

الإشكال الرابع:

أنه إذا ألقى شبهه على غيره ثم أنه رفع بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه أنه عيسى مع أنه ما كان عيسى، فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى.

الإشكال الخامس:

أن النصراني على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة حبهم للمسيح عليه السلام وغلوهم في أمره، أخبروا أنهم شاهدوه مقتولا مصلوبا، فلو أنكرنا ذلك كان طعنا فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد ونبوة عيسى بل في وجودهما ووجود سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكل ذلك باطل.

الإشكال السادس:

أنه ثبت بالتواتر أن المصلوب بقى حيا زمانا طويلا، فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهر الجزع، وقال: إني لست عيسى إنما أنا غيره، ولبالغ في تعريف هذا المعنى، ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلق هذا المعنى، فلما لم يوجد شيء من هذا علمنا أن ليس الأمر على ما ذكرتم.

٣- إن كان المسيح قد رفع دون أن يموت، فما معنى هذه الآيات:

سورة مريم ١٩: ٣٣-والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا-

سورة آل عمران ٣: ٥٥- إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ-

سورة المائدة ٥: ١١٧- فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم-

قالوا ردا على سورة مريم ٣٣: إن عيسى رفع حيا وسيأتي مرة أخرى ليقتل المسيء الدجال وينادى بالإسلام ويتزوج ثم يموت ويدفن بين الرسول وأبو بكر.

وعلى ما جاء في سورة آل عمران ٥٥ فسروا كلمة متوفيك كما يأتي:

النوم :- عن اسحق: رفعه الله في منامه.

القبضان :- عن ابن وهب قال إني متوفيك أي قابضك ولم يموت حتى يقتل الدجال وسيموت.

الاستيفاء:- أي متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت.

فريق آخر أقر بأن الوفاة هي الموت :-

قال ابن عباس: متوفيك أي مميتك.

قال وهب ابن منبه: توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات حتى رفعه الله.

قال بن اسحق: توفى سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعته.

قال بن أنس: توفاه الله حين رفعه إلي السماء.

عن إدريس- تفسير ابن كثير: مات المسيح ثلاثة أيام ثم بعثه الله .

من هو المسيح؟

قابلتني سيدة فاضلة تعرف أنني خادم للإنجيل فسألتنى معترضة: إن المسيح رائع، وقد عمل أعمالاً عجيبة، وصنع معجزات تفوق الخيال، وعلم تعاليم خالدة. والعجيب أنكم تقولونه ما لم يقله.. فتعجبت وسألت: ماذا قلنا؟ قالت: تقولون إنه ابن الله وهو لم يذكر ذلك في أي موضع من الكتاب، فكيف تفترون على رجل صالح مثل هذا؟ ففتحت كتابي وطلبت منها أن تتابع معي ما قاله المسيح عن نفسه وترى بعينيها المكتوب في الكتاب:

وقت المحاكمة يقول: البشير مرقس ١٤: ٦١-٦٤. أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضاً: أنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف. فحكموا عليه أنه مستوجب الموت.

ليس هذا غريباً؟ ماذا قال المسيح حتى يمزق رئيس الكهنة ثيابه ويكسر الوصية لاويين ١٠: ٦، معرضاً نفسه للموت؟ وما هي التجاديف التي قالها المسيح حتى تجعل رئيس الكهنة في غير حاجة إلى شهود، ويصدر الحكم فوراً بالموت؟ لقد قال: أنا هو.

في لغتنا الجميلة أنا هو لا تعني شيئاً يستوجب كل غضب رئيس الكهنة! لكن في اللغة الأصلية التي سمعها السامعون وقتها تعني اسم الجلالة الله أنا هو الذي أنا هو (خروج ٣: ١٤).

فحينما سأل رئيس الكهنة السيد المسيح: أنت ابن المبارك؟ قال له: أنا الله. فحق للرئيس أن يمزق ثيابه ويقول: سمعتم التجاديف! إنسان يقول عن نفسه إنه الله. إنه مستوجب الموت. وألثفت إلى تلك السيدة وقلت: لقد قالها المسيح، ونحن لم نقلها. ثم سارعت بشاهد آخر قبل أن أسمع رد فعلها:

يوحنا ١٠: ٣٣ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديد، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها. ثم قلت لها: إن المعول عليه هو اللغة الأصلية وفهم السامعين لها؟ لقد فهم سامعو المسيح ما يعنيه بكلامه، فقد كان يعلن لهم أنه الله.

يوحنا ١٩: ٧- أجابه اليهود (أجابوا بيلاطس الوالي): لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله. ثم صرخوا: اصلبه! اصلبه! فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه لأنني لست أجد فيه علة. فأجابه اليهود بالقول السابق، والذي فهموه من كلامه معهم. لقد فهم اليهود معنى البنوة لله وهو أنها تمام المعادلة لله.

يوحنا ٥: ١٧، ١٨:

فأجابه يسوع: أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقلوا السبت فقط، بل قال إن الله أبوه معادلا نفسه بالله.

يوحنا ٨: ٥٦-٥٨

قال المسيح: أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟ قال يسوع: الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموه.

هنا يعلن السيد المسيح ألوهيته، فكلمة كائن (دائم الوجود) هي يهوه اسم الجلالة الكائن والذي كان والذي يأتي. وعرف اليهود المعنى، لذلك رفعوا حجارة ليرجموه.

ثم سألت السيدة: هل لا زلت تظنين أننا نضع في فم المسيح كلاما عن نفسه لم يقله؟؟ فأجابت: ما كنت أعلم كل هذا.. لكن. فسارعت أقول: اتركي لكن لنهاية الحديث، فما زال عندي الكثير.

السيد المسيح هو النبي الوحيد الذي لم يتردد أبدا في أقواله. لم يؤجل سائلا وجه إليه سؤالا بحجة أنه سيسأل من أرسله. ولم يقل أبدا هكذا قال السيد الرب لكنه كان يقول سمعتم إنه قيل، أما أنا فأقول وهذا القول في منتهى الخطورة إذا كان من شخص عادي، فهو يقول إنه يكمل شريعة موسى أما أنا فأقول. فالمسموح له أن ينطق بهذا القول هو أعلى

من موسى، أو هو الله نفسه. ولا يمكن لأحد أقل من مُعلن شريعة موسى أن يقول هذا. فلا بد أن يكون قائل "أما أنا فأقول" هو الله نفسه الذي له حق توضيح قانونه حتى يستطيع الناس تطبيقه (مثل حق المشرع في وضع اللائحة التفسيرية لتشريع). المسيح هو الوحيد الذي لم يعتذر أو يناقِظ نفسه، بل قال: "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (مرقس ١٣: ٣١)

الكتاب المقدس يعلمنا أن العبادة والسجود لله وحده
لوقا ٤: ٨ "لرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"
يوحنا ٤: ٢٤ "الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا".
ومع هذا نجد السيد المسيح يقبل هذا السجود من كثيرين دون اعتراض:

من الأبرص في متى ٨: ٢ "وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني. فمد يسوع يده ولمسه قائلاً: أريد فاطهر".

من المولود أعمى يوحنا ٩: ٣٥-٣٨ "أؤمن يا سيد وسجد له"

من التلاميذ متى ١٤: ٣٣ "والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله".
من توما يوحنا ٢٠: ٢٧-٢٩ "أجاب توما وقال له: ربى والهى".

آخرون يؤكّدون الوهيته: من أصدقائه:

بولس في فيلبي ٢: ٩-١١ "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب"

بولس في تيطس ٢: ١٣ "منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح".
بطرس في متى ١٦: ١٥-١٧ "قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا. فأجاب سمعان

بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي.
بطرس في أعمال ٢: ٣٦ - فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم ربا ومسيحا.
يوحنا المعمدان في لوقا ٣: ٢٢ - ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلا: أنت ابني الحبيب. بك سررت.
توما في يوحنا ٢٠: ٢٨ - أجاب توما قائلا: ربي والهي.
استفانوس في أعمال ٧: ٥٩ - فكانوا يرحمون استفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحي. ونحن نعرف أن لا أحد يستطيع أن يأخذ الروح إلا معطيها، ومعنى قول استفانوس للمسيح - اقبل روحي - اعتراف بالوهيته، وأنه الوحيد الذي له حق أخذ الروح.

الذين لم يؤمنوا بالوهيته:

من اليهود: على الرغم من عدم إيمانهم بالوهية السيد المسيح يعترف كتابهم بذلك: إشعياء النبي في ٧: ١٤ - يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (ومعناه: الله معنا). ما رأيك أين المعجزة هنا..؟ قالت عمانوئيل.. قلت عمانوئيل تعني الله معنا، .. ولو كنت يهوديا أسمع كلمات النبي عام ٧٠٠ قبل الميلاد، لقلت فورا: إن الله كان دائما معنا منذ أيام الأجداد والآباء، أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى والأنبياء. لم يتخل عنا لحظة. وكان وجوده وسيره أمامنا يميزنا عن كل الشعوب، لذلك فعمانوئيل ليست المعجزة. قالت: إذا العذراء تحبل وتلد.. قلت لو أنك سمعت هذا الكلام أيام إشعياء وقبل نور إعلان العهد الجديد عن القديسة العذراء لقلت إنها ليست المعجزة، فأني عذراء تحبل وتلد حينما تتزوج إن لم يكن هناك أي مانع للحمل. وهو لم يذكر هنا شيئا عن الزواج أو عدمه، فإذا رأيت عذراء اليوم وغابت عنك عاما كاملا ثم رأيتها ومعها طفلا يمكن أن أقول العذراء ولدت. فتقول لنا العذراء: نعم غبت عنكم عاما تزوجت فيه وسافرت وأنجبت طفلا أثناء غيابي..

إذا لا توجد هنا معجزة. فقالت محدثتي: لست اعرف إذا أين المعجزة؟ فقلت لها السيد نفسه هو المعجزة، يتجسد ليصير إنسانا!! الإله الروح يصبح مثل البشر!! قالت: لا يمكن .. مستحيل. هذا ضرب من الخيال. قلت: نعم لذلك فهي معجزة، فوق العادة، خارقة للطبيعة فتسمى معجزة، والله

على كل شئ قدير ولا يعسر عليه أمر، إن أراد يكون، وإن أمر يصير.
وإشعياء ٩: ٦ يؤكد صحة ما أقول: -لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا
وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مشيرا، إلها قديرا،
أبا أبديا، رئيس السلام. نعم يولد لنا ولد؟ الله يصير إنسانا.. وجاء في ملء
الزمان ولم يعرفوه .. جاء من العذراء القديسة مريم ولم يكرموه.. !!

وإخوتنا المسلمون بالرغم من عدم إيمانهم بألوهيته يقول كتابهم:

سورة آل عمران ٣: ٤٥

-إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين. المسيح اسمه
كلمة الله!! وهل هناك فرق بين الله وكلمته؟ الله وكلمته واحد،
فإن سمعت شخصا يحدثك تليفونيا، هل تقول له: أهلا يا كلمة
فلان!! أم تقول: أهلا يا فلان؟ بالرغم من سماعك لكلمة فلان.
فالكلمة وصاحبها واحد. الكلمة هي المعبر عن شخصية المتكلم. قالوا
إن الكلمة هنا هي "كن" فيكون التي خلق بها الله المسيح!!! وهنا
يظهر سؤالان:

إن كان هذا هو المقصود والكلمة مؤنث فلماذا قال: كلمة اسمه
وليس اسمها!!

ولماذا لم يدع آدم كلمة الله؟ ألم يخلقه الله بكلمة كن فيكون!!

إن الوحيد من كل أنبياء القرآن الذي سمى كلمة الله هو المسيح!!
لماذا؟! لأن المسيح هو الله.

سورة النساء ٤: ١٧١

-إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح
منه.

أضاف إلى اسم المسيح الاسم: روح الله، وكأنه يريد أن يثبت الفكرة
الأولى لمن يشك في أنه الله فيقول عنه إنه أيضا روح الله. وهل هناك فرق
بين الله وروحه!! أليس الله وروحه واحدا؟ فكم بالحري إذ كان المسيح

كلمة الله وروحه أيضا؟! أليس هذا تأكيدا على ألوهية المسيح؟!!

سورة مريم ١٩: ٣٤

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (أي يشكون).
عيسى قول الحق!!! ومن هو الحق؟ إنه الله سبحانه. لم يقل إن عيسى
عنده الحق، أو يعرف الحق، بل هو نفسه الحق. فهل هناك تأكيد أكثر
من ذلك على أن المسيح هو الله!!!!

ثم قلت لتلك السيدة: أختم حديثي معك بما قاله أستاذ جامعي كان
يوما ما "لأدريا" ثم آمن بالمسيح، قال:

"أحاول أن أمنع من يجرب أن يقول: إنني أقبل المسيح كمعلم أخلاقي
عظيم، ولكنني لا أقبل دعواه بأنه الله، فهذا ما لا يجب أن يقوله عاقل!!
فلو جاءك شخص لا تعرفه وقال لك: أنا الله!!! وتركك قبل أن تسأله
البرهان، فماذا يكون رد فعلك؟

هناك احتمالان:

إما أن يكون صادقا في دعواه، فانت لم تر الله قبل ذلك، لأنه لا يراه أحد
ويعيش، لكن في ذات الوقت الله يستطيع أن يكون في الهيئة التي
يريدها، لذلك فاحتمال الصدق وارد.

وإما يكون كاذبا!! وفي هذه الحالة هناك احتمالان:

إما يكون كاذبا ولم يعرف أنه كاذب فيكون مخدوعا عن إخلاص
وبذلك يكون مجنونا..

أو يكون كاذبا ويعرف أن ما يقوله كذب، فأعطى الصورة الخاطئة
عن قصد، فيكون بذلك مخادعا.. ولو ترك نفسه لحكم الموت نتيجة
لهذا الادعاء الكاذب، لكان أحمق..

فلو طبقنا هذه النظرية على السيد المسيح (مع الاعتذار الشديد) الذي
قال كما ذكرت إنه الله، فهناك احتمالان:

إما أن يكون صادقا، وليس أمامك إلا أن تسجد له وتقول: "ربى والهي".

أو يكون كاذبا، فلو كان كذلك لكان هناك احتمالان:

كاذبا عن إخلاص، أي لم يعرف انه كاذب، فيكون بذلك مخدوعا، فيكون مجنوناً!! فهل كان المسيح كذلك؟؟!! حاشا وألف حاشا.

لقد شهد أعداؤه قبل أصدقائه قائلين:

متى ١٣: ٥٤- ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟-

مرقس ٦: ٢، ٣- ولما كان السبت ابتداء يعلم في المجمع. وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: من أين لهذا هذه؟ وما الحكمة التي أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم؟-

لوقا ٢٢: ٥٢- وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس-

واسمع ما يقوله القرآن في سورة آل عمران ٣: ٤٥ عن السيد المسيح -وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين..- الذي لم يفعل خطية وهو الشفيع في الآخرة!!!

إذا ليس أمامنا إلا افتراض آخر: إنه كاذب وهو يعرف ذلك. فكيف يعلم تلاميذه الصدق ويقول: "ليكن كلامكم نعم نعم لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير؟"

ثم لو كان يعرف أنه كاذب، وأن نتيجة ذلك أنه سيساق إلى الموت صلبا لما سكت، بل أعلن فورا كذبه لأن الحياة غالية، أو قل إنه وافته فرصة ذهبية للخروج من هذه الورطة حينما قال له بيلاطس: "أما تكلمني؟ ألسنت تعلم أن لي سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك؟!!" فيعلن فورا كذبه ويعتذر عن كل ما قال. لكن اسمع بماذا أجابه يسوع:

لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق. إذا هذا
الفرض أيضا مرفوض. فلا يبقى أماننا إلا الاحتمال الأول، وهو أنه الله
الواجب العبادة.

فقلت محدثي: معك كل الحق. لم أكن أعلم كل هذا. فعلا السيد
المسيح هو الله الذي أعلن ذلك قولا وفعلا.

هل تجسد الله؟

يسأل كثيرون ويتعجبون ولا يصدقون، بل أحيانا يستهزئون قائلين:
هل تجسد الله؟ كيف ولماذا وما هي الضرورة؟

الله سبحانه يصير إنسانا مثلنا؟! يأكل ويشرب، يجوع ويعطش،
يحزن ويفرح، يتعب وينام، ويقضي حاجته أيضا.

حاشا لله، علا عن ذلك علوا كبيرا..

وقبل أن أجاب أسأل: إذا أراد الله سبحانه أن يصير إنسانا، فهل يستطيع؟
الإجابة من الجميع وبلا استثناء: نعم يستطيع، فهو القادر علي كل شئ ،
يصنع ما يريد وقتما يريد وبالكيفية التي يريد، نعم يقدر ولا
يعسر عليه أمر.

لكنه قدوس عالٍ وكبير ساكن فوق سماء السموات، ونحن الطين
المزدري وغير الموجود، فلا يليق بجلاله الوجود وسطنا!!!

نعم هذا رد جميعنا، فتقديرنا لجلاله ومحبتنا لشخصه، يدفعنا أن نقول
هذا وأكثر.. أضرب لك مثلا:

إذا جاء إلى معسكرنا السيد الرئيس، ووجدنا نعمل في الزراعة وطلب
منا أن يعمل معنا، بالطبع سنرهبان كلنا ونقول له: نحن فداؤك يا
ريس! كيف تدوس في الطين وتمسك الفأس وتتس ثيابك الأنيقة، لا..
أنت فقط تأمر ونحن ننفذ، تشير ونحن نعمل إرادتك وأنت علي كرسي
رياستك.. لكن إذا صمم الرئيس على طلبه فهل يستطيع أحد أن
يرهبان؟؟؟ سنقول أمرك يا ريس، نحن رفضنا حبا وإكراما، لا نريد لك
النزول إلى هذا المستوى، نريدك دائما عاليا.. وهو صمم لأنه يريد أن
يشاركنا أفراحنا وأحزاننا، يضع يده في أيدينا تشجيعا ودفعنا لنا على

حب العمل.. وحين نفهم ذلك، سنحبه أكثر ويزيد تقديرنا واحترامنا لشخصه، نثق في رياسته، وتكون أوامره مطاعة أكثر لأننا عرفنا أنه يسعى لخيرنا، فهو يعرف مشاكلنا عن قرب حيث مسك بيده وفعل ما فعله، صار قريباً منا، لا يحكمنا من برج عاجي لا يدري بما نعانيه، بل هو معنا علي أرض واقعنا يشعر بمشاعرنا يتألم ويتعب ويعرق مثلنا.

قد يراودك السؤال: لكن لماذا يتجسد الله؟ أقول لك: ليخلصنا من عقوبة خطية أبوين الأولين الذين عصيا الله بعدم طاعة أمر جزاؤه الموت وورثناه جميعاً منهما!!!

قد تقول: وما ذنبنا؟ ألم يكن بالأولى موت آدم وحواء فهما المذنبين؟ أو إبليس سبب الغواية؟ أو نموت نحن فالنفس التي تخطئ تموت؟!!!
لذلك دعني أعود بك إلي القصة القديمة، قصة سقوط أبوين الأولين: في جنة عدن أصدر الله أمراً لآدم بعدم الأكل من الشجرة التي في وسط الجنة قائلاً: "يوم أن تأكل منها موتاً تموت". وجاء إبليس ليقول: "لن تموتا". وفضل أبوانا سماع قول إبليس ورهطان سماع قول الله، وأكلا من الشجرة. وكانت النتيجة أن انفتحت أعينهما واكتشفا أنهما عريانان.

فحاولا محاولات مستميتة لستر نفسيهما باستخدام ورق التين وصنع مآزر، لكنها كانت تدوم لساعات ثم تجف وتسقط وينكشف عريهما ويحتاجان إلي صنع مآزر من جديد.. وهكذا دواليك، صنع مآزر وسقوطها والحاجة إلي جديد..

خوف وهروب دائمين من الله. فقدنا متعة التواجد في محضر الله والاستمتاع بالحضرة الإلهية البهية. وهذا هو الموت الأدبي.. انفصال عن الله مصدر الحياة.. وعلى الرغم من أنه يأكل ويشرب وينجب إلا أنه في انفصال عن مصدر الحياة، إنسان ميت ينجب أمواتاً..

كنا نتوقع من الخاطئ أن يرجع إلي من أخطأ في حقه طالبا العفو والغفران، لكنه انشغل عن هذا بستر نفسه، والنتيجة الفشل في الستر والفشل في العودة..

لكننا نجد طريقاً آخر عجيبيلاً لا يخطر علي بال.. يأتي المخطئ في حقه ليبحث عن الخاطئ آدم، أين أنت؟. ويصنع لهما مآزر من جلد. والقول

صنع" يعنى أنه سبحانه أحضر كبشا وذبحه ليرى آدم الدم يسيل والكبش يموت، ليعرف أن أجرة الخطية هي موت، وأنه كان ينبغي أن يكون هو مكان الكبش، ليتعلم الطريق الإلهي للغفران أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة. لكي يحيا الميت لا بد من حي يموت نيابة عنه. وانقسم نسل آدم إلي فريقين: فريق فهم وأطاع الوصية، وحينما يخطئ سهوا يقدم ذبيحة كفارية عن إثمه.

وفريق آخر حاول استرضاء الله بمجهوده. وما زالت الأغلبية الساحقة حتى يومنا تستسهل الطريق الثاني،

وتستخدم وسائل متعددة للغفران والحصول على البراءة. أهم هذه الوسائل: الصلاة، والصوم، والتوبة، وشفاعة القديسين، والصدقة..

ولكي تتضح لنا قيمة هذه الوسائل بصفة عامة من جهة صلاحيتها للحصول علي الغفران أضرب لك هذا المثل:

إذا قدم إنسان للمحاكمة بتهمة القتل مع سبق الإصرار والترصد، فأخذ يستعطف القاضي ويتذلل، وامتنع عن الطعام والشراب أمدا طويلا، وتعهد بكل إخلاص أن لا يرتكب جريمة أخرى، وأنه يهب كل أمواله للفقراء والمساكين، ثم التجأ إلى ذوي الشأن ليقوموا بالوساطة له.. فهل يصدر القاضي العادل أمرا ببراءة المتهم لمجرد هذه الأعمال؟!!

بالطبع لا، لأن هذه الأسباب ليست كافية لإعطاء العدل حقه، كما أنها لا تعيد الحياة للقتيل..!!!

لذلك دعنا نتأمل في صلاحية الوسائل السابق ذكرها:

الصلاة:

الصلاة ليست مجرد كلمات الحمد والتعظيم لله، أو توسلات للحصول علي الغفران، لكنها الارتقاء بنفوسنا عن كل ما يتعلق بالعالم حتى

نلتقي بالله في أقداسه ونحن في حالة التوافق معه، أو قل هي الابتعاد عن كل ما يعطل عن الوجود في محضر الله. فالصلاة هي حالة قلب منكسر يقر بذنبه ويتوافق مع الله في الحكم علي الخطأ، لذلك فالصلاة ليست فرضاً نقوم به كما يقوم العبد بواجب نحو سيده، بل هي صلة متبادلة بيننا وبين الله نحتاجها في كل وقت. لذلك لم يحدد لنا مواعيد للصلاة لأنه:

ليس هناك وقت أفضل من وقت عند الله .
إنه على استعداد لسماعنا في كل وقت.
حاجتنا ليست مرتبطة بأوقات خاصة.

مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح (أفسس ٦: ١٨)، صلوا كل حين (لوقا ١٨: ٢)، صلوا بلا انقطاع (١ تس ٥: ١٧)

لذلك فالصلاة يجب أن تكون بالروح والحق. بعمل روح الله فينا . لا تكون منقولة عن أحد أو محفوظة، بل من إنشاء المصلي بتأثير الروح القدس في قلبه . لا تتكرر عباراتها بقصد التكرار .

في ضوء ذلك فالخاطئ فضلاً عن أنه أساء إلي الله وكسر شريعته قد أصبح في ذاته عاجزاً عن التوافق معه في صفاته الأدبية السامية، فالدنيء لا يتوافق مع النبيل، ولا البخيل مع الكريم، ولا النجس مع القدوس. لذلك فالخاطئ لا يستطيع أن يرفع صلاة حقيقية إلى الله، فإذا فعل، يكون مثل شخص رفع سماعة التليفون دون أن يتصل بأحد ويتكلم ما يشاء فلا سميع ولا مجيب!!

الصوم وعلاقته بالغفران:

يصوم الناس إما للتمسك بعقيدة دينية ابتغاء مرضاة الله، أو للشعور بالجوع حتى يعطفوا على الفقراء والمساكين، أو للمحافظة على المظاهر الدينية بين إخوانهم، أو لتحسين حالتهم الصحية. في ذلك يقول الله للذين يصومون دون أن يتركوا خطاياهم وشر أفعالهم:

زكريا ٧: ٩-٥ لما صمتم ونحتم، فهل صمتم صوماً لي أنا؟ ولما أكلتم

ولما شربتم، أما كنتم أنتم الآكلين وأنتم الشاربين؟.. اقضوا قضاء الحق واعملوا إحسانا ورحمة.

إشعياء ٥٨: ٣-٧ يقولون: لماذا صمنا ولم ننظر، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟ ها أنكم في يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون. ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر. أمثل هذا يكون صوما أختاره؟ يوما يذل الإنسان فيه نفسه، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا؟ هل تسمي هذا صوما ويوما مقبولا للرب؟ أليس هذا صوما أختاره: حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عريانا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك.

اكورنثوس ٨: ٨ - لكن الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد، وإن لم نأكل لا ننقص.

لذلك يعتبر الصوم لغة، هو الانقطاع عن شئ ما. وبالرجوع إلي الكتاب نجد أنه ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشور والاثام، بل الامتناع أيضا عن كل ما يشغل المرء عن قضاء مدة في محضر الله، حتى يتفرغ الصائم تفرغا تاما لسكب قلبه أمام الله. لذلك يقرب الوحي دائما الصوم بالصلاة، فالرسل صاموا وصلوا، والروح النجس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة. وهنا يعجز الخاطيء عن إدراك معني الصوم الحقيقي.

الصدقة وعلاقتها بالغفران:

إن المال الذي في أيدينا والصحة التي نتمتع بها في حياتنا ليست في الواقع ملكا لنا بل هما من فضل الله علينا. ولقد أدرك داود هذا فقال: -لكن من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب؟ لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك- (أخبار ٢٩: ١٤). وقال الرسول بطرس: -إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله- (ابطرس ٤: ١١).

والصدقة في المفهوم المسيحي ليست عملا اختياريا يجوز عمله أو الامتناع عنه حتى يكون له فضل عند الله إذا ضحى بشيء، بل هو واجب يتحتم

عليه القيام به والا أعتبر مذنباً. قال المسيح: متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إنا عبيد بطالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا. (لوقا ١٧: ١٠). وقال الرسول يعقوب: من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له. (يعقوب ٤: ١٧).

عزيزي القارئ، إذا أكرم خادم في حق الملك ثم جاء بهدية ثمينة يقدمها له، فهل تستطيع الهدية وحدها أن تمحو الإهانة في حق الملك؟! لو كانت الصدقة نافعة لكان الأغنياء هم أكثر الناس حصولاً على الغفران. فهل تعيد الصدقة إلى حق الله قدسيته؟ أو هل تؤهل الخاطئ للتوافق مع الله في قداسه وكماله؟!!!!!!!

بعد كل هذا نستطيع الآن أن نقول إن الطريق البشري مسدود لا يوصل إلى الغفران، ولا سبيل لهذا إلا طريق الله لإيفاء مطالب عدالته وقداسه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة. (عبرانيين ٩: ٢٢). لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه علي المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس. (لاويين ١٧: ١١). لذلك كانت شريعة الذبائح في العهد القديم للتكفير عن خطايا السهو، ليس في كون الذبيحة كافية لإعطاء العدالة حقها، لأن نفس الحيوان لا خلود لها ولا تعادل الإنسان في قيمته، كما أنها ليست ذات خواص أدبية وعقلية سامية حتى تكون معادلة في القيمة لتكفر عنه، لكنها كانت رمزا لرموز إليه، استخدمه الله حتى لا تختلط الأمور على الشعب الساكن بين شعوب وثنية تقدم ذبائح بشرية لألهتها. ويتضح هذا التعليم في قصة أبينا إبراهيم حين طلب منه الله تقديم ابنه وحيد ذبيحة. فلو كانت هذه التجربة فقط لامتحان إيمان إبراهيم لانتهت القصة عند وضع إبراهيم ابنه على المذبح ولم يكن هناك داع لإرسال ملاك ممسكا بكبش من قرنيه.. لكن ليتعلم إبراهيم الدرس أنه لكي يقوم المحكوم عليه بالموت من موته، لا بد من بديل حي يموت بدلا منه ليكفر عنه.

وتعلم رجال العهد القديم الدرس وانتهوا إلي أنهم لا يمكنهم النجاة بالصلوات والأصوام وأعمال الرحمة والإحسان وحتى إذا قدموا الذبائح. قال النبيان داود وميخا:

لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى (مزمور ٥١: ١٦). "بم أتقدم للرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش، بريوات أنهار زيت؟" (ميشا ٦: ٦، ٧).

وتوصل أيوب لذات النتيجة فقال:
ليس بيننا مصالح يضع يده على كليتنا. ليرفع عني عصاه ولا يبغثني رعبه (أيوب ٩: ٣٣، ٣٤).

نعم نحتاج إلي مصالح يضع يده على كليتنا!!!!!! لكن من هو؟ وأين هو؟ وبما أن الفدية يجب أن تكون على الأقل مساوية للمطلوب فداؤه، فلا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله إذا أنا في حاجة إلى إنسان.. لكن هل يصلح أي إنسان؟

لهذا الإنسان شروط لا بد أن تتوافر فيه:
أن يكون بلا خطية حتى لا يكون تحت الحكم ذاته.
أن يكون معصوما منها فلا يخطئ أبدا.
أن تكون نفسه ملكه حتى يستطيع أن يقدمها نيابة عنا بمعنى أن يكون غير مخلوق.
أن تكون قيمته على الأقل تساوي كل البشر في كل العصور حتى يكون نائبا عنهم.

أن يكون غير محدود ليحمل الجزاء غير المحدود، لأننا نعرف أن جزاء الخطأ يتناسب تناسبا طرديا مع قيمة المخطئ في حقه. فمثلا إذا ضرب جندي زميله عاقبه قائده بالضرب. أما إذا ضرب ذات الجندي ذات الضربة للقاء فإن العقوبة تكون أشد: مثلا الحبس. أما إذا ضرب رئيس الدولة كانت العقوبة الإعدام بتهمة إهانة الدولة في شخص رئيسها.
أن يكون قادرا على الخلق ليعيد خلقنا خليفة جديدة لا تحب الخطأ.
أين هذا الإنسان الذي يحمل كل هذه الصفات؟ لا يوجد بين البشر:
لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوذهم مجد الله ، ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد (رومية ٣: ١٢)

لا يوجد إنسان معصوم من الخطية، فالعصمة لله وحده.
لا يوجد إنسان تساوي قيمته كل البشر.
لا يوجد إنسان غير محدود، الله وحده هو الغير محدود.

لا يوجد إنسان غير مخلوق، فكلنا خليقة الله..
لا يوجد إنسان قادر على الخلق، فهذه قدرة الله وحده ولم يعطها لآخر.
ذا ما هو الحل؟؟!! هل يضيع الإنسان أجمل ما خلق الله؟؟؟
قد يراودك السؤال: لماذا كل هذا؟ ألا يستطيع الله أن يقول: سامحتكم
فتنتهي المشكلة، فهو الرحمن الرحيم؟؟!!!!!!

نعم هو سبحانه كلي الرحمة، لكنه أيضا شديد العقاب، رحيم وعادل،
وهاتان الصفتان متساويتان. إن غفر للمخطئ دون عقاب فأين عدله؟
كما أنه إذا عاقب فقط فأين رحمته؟!!!!!!

لذلك قال الرحمة: أنا أصالحكم مع العدل، فقلنا: كيف؟ قال: أصير
إنسانا لأوفي شروط الفادي. ألا أقدر أن أكون؟

ونقول: نعم تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر، لكن حاشاك يا
رب، نريدك عاليا قدوسا كبيرا منزها. فكيف تأتي لتكون مثلنا:
تأكل وتشرب، تجوع وتعطش، تفرح وتحزن، وتجاوز في كل ما اختبرناه
ما عدا الخطيئة؟ العفو يا ربنا!!!

ويقول الرحمة: ليس هناك طريق آخر، لا بد أن أكون ما لم أكنه،
لتكون أنت ما لم تكنه. فإذا صرت إنسانا، وهذا في قدرتي، سأكون
الإنسان الذي بلا خطيئة بل ومعصوم منها أيضا، نفسي ملكي أقدمها
وقتما شئت واستردها حينما أشاء. فأنا غير المخلوق، وقيمتي تساوي كل
البشر وزيادة. أنا غير المحدود القادر على الخلق.

وجاء الرحمة في ملء الزمان. الكلمة صار جسدا وحل بيننا، ورأينا
مجده، مجدا كما لوحيد من الأب مملوءا نعمة وحقا (يوحنا ١: ١٤) ليبدل
نفسه كذبيحة إثم عن كل الذين يقبلونه أما كل الذين قبلوه فقد
أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه (يوحنا ١: ١٢).

هل تجسد الله؟

يسأل كثيرون ويتعجبون ولا يصدقون، بل أحيانا يستهزئون قائلين:
هل تجسد الله؟ كيف ولماذا وما هي الضرورة؟

الله سبحانه يصير إنسانا مثلنا؟! يأكل ويشرب، يجوع ويعطش،
يحزن ويفرح، يتعب وينام، ويقضي حاجته أيضا.

حاشا لله، علا عن ذلك علوا كبيرا.. وقبل أن أجاب أسأل: إذا أراد الله
سبحانه أن يصير إنسانا، فهل يستطيع؟ الإجابة من الجميع وبلا استثناء:
نعم يستطيع، فهو القادر علي كل شئ، يصنع ما يريد وقتما يريد
وبالكيفية التي يريدها، نعم يقدر ولا يعسر عليه أمر.

لكنه قدوس عال وكبير ساكن فوق سماء السموات، ونحن الطين
المزدري وغير الموجود، فلا يليق بجلاله الوجود وسطنا!!!

نعم هذا رد جميعنا، فتقديرنا لجلاله ومحبتنا لشخصه، يدفعنا أن نقول
هذا وأكثر.. أضرب لك مثلا:

إذا جاء إلى معسكرنا السيد الرئيس، ووجدنا نعمل في الزراعة وطلب
منا أن يعمل معنا، بالطبع سنرهبان كلنا ونقول له: نحن فداؤك يا
ريس! كيف تدوس في الطين وتمسك الفأس وتتس ثيابك الأنيقة، لا..
أنت فقط تأمر ونحن ننفذ، تشير ونحن نعمل إرادتك وأنت علي كرسي
رياستك.. لكن إذا صمم الرئيس على طلبه فهل يستطيع أحد أن
يرهبان؟؟؟ سنقول أمرك يا ريس، نحن رفضنا حبا وإكراما، لا نريد لك
النزول إلى هذا المستوى، نريدك دائما عاليا.. وهو صمم لأنه يريد أن
يشاركنا أفراحنا وأحزاننا، يضع يده في أيدينا تشجيعا ودفعا لنا على
حب العمل.. وحين نفهم ذلك، سنحبه أكثر ويزيد تقديرنا واحترامنا
لشخصه، نشق في رياسته، وتكون أوامره مطاعة أكثر لأننا عرفنا أنه
يسعى لخيرنا، فهو يعرف مشاكلنا عن قرب حيث مسك بيده وفعل ما

نفعله، صار قريبا منا، لا يحكمنا من برج عاجي لا يدري بما نعانيه، بل هو معنا علي أرض واقعنا يشعر بمشاعرنا يتألم ويتعب ويعرق مثلنا.

قد يراودك السؤال: لكن لماذا يتجسد الله؟ أقول لك: ليخلصنا من عقوبة خطية أبويننا الأولين الذين عصيا الله بعدم طاعة أمر جزاؤه الموت وورثناه جميعا منهما!!!

قد تقول: وما ذنبنا؟ ألم يكن بالأولى موت آدم وحواء فهما المذنبين؟ أو إبليس سبب الغواية؟ أو نموت نحن فالنفس التي تخطئ تموت؟!!!

لذلك دعني أعود بك إلي القصة القديمة، قصة سقوط أبويننا الأولين: في جنة عدن أصدر الله أمرا لآدم بعدم الأكل من الشجرة التي في وسط الجنة قائلا: "يوم أن تأكل منها موتا تموت". وجاء إبليس ليقول: "لن تموتا". وفضل أبوانا سماع قول إبليس ورفض سماع قول الله، وأكلا من الشجرة. وكانت النتيجة أن انفتحت أعينهما واكتشفا أنهما عريانان.

فحاولا محاولات مستميتة لستر نفسيهما باستخدام ورق التين وصنع مآزر، لكنها كانت تدوم لساعات ثم تجف وتسقط وينكشف عريهما ويحتاجان إلي صنع مآزر من جديد.. وهكذا دواليك، صنع مآزر وسقوطها والحاجة إلي جديد..

خوف وهروب دائمين من الله. فقدنا متعة التواجد في محضر الله والاستمتاع بالحضرة الإلهية البهية. وهذا هو الموت الأدبي.. انفصال عن الله مصدر الحياة.. وعلى الرغم من أنه يأكل ويشرب وينجب إلا أنه في انفصال عن مصدر الحياة، إنسان ميت ينجب أمواتا..

كنا نتوقع من الخاطئ أن يرجع إلي من أخطأ في حقه طالبا العفو والغفران، لكنه انشغل عن هذا بستر نفسه، والنتيجة الفشل في الستر والفشل في العودة..

لكننا نجد طريقا آخر عجيبا لا يخطر علي بال.. يأتي المخطأ في حقه ليبحث عن الخاطئ آدم، أين أنت؟. ويصنع لهما مآزر من جلد. والقول

صنع" يعنى أنه سبحانه أحضر كبشا وذبحه ليرى آدم الدم يسيل والكبش يموت، ليعرف أن أجرة الخطية هي موت، وأنه كان ينبغي أن يكون هو مكان الكبش، ليتعلم الطريق الإلهي للغفران أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة. لكي يحيا الميت لا بد من حي يموت نيابة عنه. وانقسم نسل آدم إلي فريقين: فريق فهم وأطاع الوصية، وحينما يخطئ سهوا يقدم ذبيحة كفارية عن إثمه.

وفريق آخر حاول استرضاء الله بمجهوده. وما زالت الأغلبية الساحقة حتى يومنا تستسهل الطريق الثاني،

وتستخدم وسائل متعددة للغفران والحصول على البراءة.

أهم هذه الوسائل: الصلاة، والصوم، والتوبة، وشفاعة القديسين، والصدقة..

ولكي تتضح لنا قيمة هذه الوسائل بصفة عامة من جهة صلاحيتها للحصول علي الغفران أضرب لك هذا المثل:
إذا قدم إنسان للمحاكمة بتهمة القتل مع سبق الإصرار والترصد، فأخذ يستعطف القاضي ويتذلل، وامتنع عن الطعام والشراب أمدا طويلا، وتعهد بكل إخلاص أن لا يرتكب جريمة أخرى، وأنه يهب كل أمواله للفقراء والمساكين، ثم التجأ إلى ذوي الشأن ليقوموا بالوساطة له.. فهل يصدر القاضي العادل أمرا ببراءة المتهم لمجرد هذه الأعمال؟!!

بالطبع لا، لأن هذه الأسباب ليست كافية لإعطاء العدل حقه، كما أنها لا تعيد الحياة للقتيل..!!!

لذلك دعنا نتأمل في صلاحية الوسائل السابق ذكرها:

الصلاة:

الصلاة ليست مجرد كلمات الحمد والتعظيم لله، أو توسلات للحصول علي الغفران، لكنها الارتقاء بنفوسنا عن كل ما يتعلق بالعالم حتى

نلتقي بالله في أقداسه ونحن في حالة التوافق معه، أو قل هي الابتعاد عن كل ما يعطل عن الوجود في محضر الله. فالصلاة هي حالة قلب منكسر يقر بذنبه ويتوافق مع الله في الحكم علي الخطأ، لذلك فالصلاة ليست فرضاً نقوم به كما يقوم العبد بواجب نحو سيده، بل هي صلة متبادلة بيننا وبين الله نحتاجها في كل وقت. لذلك لم يحدد لنا مواعيد للصلاة لأنه:

ليس هناك وقت أفضل من وقت عند الله .

إنه على استعداد لسماعنا في كل وقت.

حاجتنا ليست مرتبطة بأوقات خاصة.

مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح (أفسس ٦: ١٨)

صلوا كل حين (لوقا ١٨: ٢)

صلوا بلا انقطاع (١ تس ٥: ١٧)

سلطان لذلك فالصلاة يجب أن تكون بالروح والحق- بعمل روح الله فينا .

لا تكون منقولة عن أحد أو محفوظة، بل من إنشاء المصلي بتأثير الروح القدس في قلبه .

لا تتكرر عباراتها بقصد التكرار .

في ضوء ذلك فالخاطئ فضلاً عن أنه أساء إلي الله وكسر شريعته قد أصبح في ذاته عاجزاً عن التوافق معه في صفاته الأدبية السامية، فالدنيء لا يتوافق مع النبيل، ولا البخيل مع الكريم، ولا النجس مع القدوس. لذلك فالخاطئ لا يستطيع أن يرفع صلاة حقيقية إلى الله، فإذا فعل، يكون مثل شخص رفع سماعة التليفون دون أن يتصل بأحد ويتكلم ما يشاء فلا سميع ولا مجيب!!

الصوم وعلاقته بالغفران:

يصوم الناس إما للتمسك بعقيدة دينية ابتغاء مرضاة الله، أو للشعور بالجوع حتى يعطفوا على الفقراء والمساكين، أو للمحافظة على المظاهر الدينية بين إخوانهم، أو لتحسين حالتهم الصحية.

في ذلك يقول الله للذين يصومون دون أن يتركوا خطاياهم وشر أفعالهم:

زكريا ٧: ٩٥

لما صمتم ونحتم، فهل صمتم صوما لي أنا؟ ولما أكلتم ولما شربتم، أما كنتم أنتم الأكلين وأنتم الشاربين؟.. اقضوا قضاء الحق واعملوا إحسانا ورحمة.

إشعيا ٥٨: ٧-٣

يقولون: لماذا صمنا ولم ننظر، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟ ها أنكم في يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون. ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر. أمثل هذا يكون صوما أختاره؟ يوما يذل الإنسان فيه نفسه، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا؟ هل تسمي هذا صوما ويوما مقبولا للرب؟ أليس هذا صوما أختاره: حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عريانا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك.

اكورنثوس ٨: ٨

لكن الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد، وإن لم نأكل لا ننقص.

لذلك يعتبر الصوم لغة، هو الانقطاع عن شئ ما. وبالرجوع إلي الكتاب نجد ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشور والاثام، بل الامتناع أيضا عن كل ما يشغل المرء عن قضاء مدة في محضر الله، حتى يتفرغ الصائم تفرغا تاما لسكب قلبه أمام الله. لذلك يقرن الوحي دائما الصوم

بالصلاة، فالرسل صاموا وصلوا، والروح النجس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة. وهنا يعجز الخاطئ عن إدراك معني الصوم الحقيقي.

الصدقة وعلاقتها بالغفران:

إن المال الذي في أيدينا والصحة التي نتمتع بها في حياتنا ليست في الواقع ملكا لنا بل هما من فضل الله علينا. ولقد أدرك داود هذا فقال: "لكن من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن نتدب؟ لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك" (أخبار ٢٩: ١٤). وقال الرسول بطرس: "إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله" (ابطرس ٤: ١١).

والصدقة في المفهوم المسيحي ليست عملا اختياريا يجوز عمله أو الامتناع عنه حتى يكون له فضل عند الله إذا ضحى بشيء، بل هو واجب يتحتم عليه القيام به وإلا أعتبر مذنبا. قال المسيح: "متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إننا عبيد بطلون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لوقا ١٧: ١٠). وقال الرسول يعقوب: "من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له" (يعقوب ٤: ١٧).

عزيزي القارئ، إذا أجرم خادم في حق الملك ثم جاء بهدية ثمينة يقدمها له، فهل تستطيع الهدية وحدها أن تمحو الإهانة في حق الملك؟! لو كانت الصدقة نافعة لكان الأغنياء هم أكثر الناس حصولا على الغفران. فهل تعيد الصدقة إلى حق الله قدسيته؟ أو هل تؤهل الخاطئ للتوافق مع الله في قداسته وكماله؟!!!!!

بعد كل هذا نستطيع الآن أن نقول إن الطريق البشري مسدود لا يوصل إلى الغفران، ولا سبيل لهذا إلا طريق الله لإيفاء مطالب عدالته وقداسته بدون سفك دم لا تحدث مغفرة" (عبرانيين ٩: ٢٢). "لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه علي المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس" (لاويين ١٧: ١١). لذلك كانت شريعة الذبائح في العهد القديم للتكفير عن خطايا السهو، ليس في كون الذبيحة كافية لإعطاء العدالة حقها، لأن نفس الحيوان لا خلود لها ولا تعادل الإنسان في قيمته، كما أنها ليست ذات خواص أدبية وعقلية سامية

حتى تكون معادلة في القيمة لتكفر عنه، لكنها كانت رمزا لرموز إليه، استخدمه الله حتى لا تختلط الأمور على الشعب الساكن بين شعوب وثنية تقدم ذبائح بشرية لألهتها. ويتضح هذا التعليم في قصة أبينا إبراهيم حين طلب منه الله تقديم ابنه وحيد ذبيحة. فلو كانت هذه التجربة فقط لامتحان إيمان إبراهيم لانتهت القصة عند وضع إبراهيم ابنه على المذبح ولم يكن هناك داع لإرسال ملاك ممسكا بكبش من قرنيه.. لكن ليتعلم إبراهيم الدرس أنه لكي يقوم المحكوم عليه بالموت من موته، لا بد من بديل حي يموت بدلا منه ليكفر عنه.

وتعلم رجال العهد القديم الدرس وانتهوا إلي أنهم لا يمكنهم النجاة بالصلوات والأصوام وأعمال الرحمة والإحسان وحتى إذا قدموا الذبائح. قال النبيان داود وميخا:

لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى (مزمور 51: 16). "بم أتقدم للرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش، بريوات أنهار زيت؟" (ميخا 6: 6، 7).

وتوصل أيوب لذات النتيجة فقال:
ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا. ليرفع عني عصاه ولا يبغثني رعبه (أيوب 9: 33، 34).

نعم نحتاج إلي مصالح يضع يده على كلينا!!!!!! لكن من هو؟ وأين هو؟ وبما أن القديّة يجب أن تكون على الأقل مساوية للمطلوب فداؤه، فلا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله إذا أنا في حاجة إلى إنسان.. لكن هل يصلح أي إنسان؟

لهذا الإنسان شروط لا بد أن تتوافر فيه:
أن يكون بلا خطية حتى لا يكون تحت الحكم ذاته.

أن يكون معصوما منها فلا يخطئ أبدا.

أن تكون نفسه ملكه حتى يستطيع أن يقدمها نيابة عنا بمعنى أن يكون غير مخلوق.

أن تكون قيمته على الأقل تساوي كل البشر في كل العصور حتى يكون نائبا عنهم.

أن يكون غير محدود ليحمل الجزاء غير المحدود، لأننا نعرف أن جزاء الخطأ يتناسب تناسباً طردياً مع قيمة المخطئ في حقه. فمثلاً إذا ضرب جندي زميله عاقبه قائده بالضرب. أما إذا ضرب ذات الجندي ذات الضربة للقائد فإن العقوبة تكون أشد: مثلاً الحبس. أما إذا ضرب رئيس الدولة كانت العقوبة الإعدام بتهمة إهانة الدولة في شخص رئيسها.

أن يكون قادراً على الخلق ليعيد خلقنا خليفة جديدة لا تحب الخطأ.

أين هذا الإنسان الذي يحمل كل هذه الصفات؟ لا يوجد بين البشر:

لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، ليس من يعمل صلاحاً
ليس ولا واحد (رومية ٣: ١٢)

لا يوجد إنسان معصوم من الخطية، فالعصمة لله وحده.

لا يوجد إنسان تساوي قيمته كل البشر.

لا يوجد إنسان غير محدود، الله وحده هو الغير محدود.

لا يوجد إنسان غير مخلوق، فكلنا خليفة الله..

لا يوجد إنسان قادر على الخلق، فهذه قدرة الله وحده ولم يعطها لآخر.

إذا ما هو الحل ؟؟؟!! هل يضيع الإنسان أجمل ما خلق الله ؟؟؟

قد يراودك السؤال: لماذا كل هذا؟ ألا يستطيع الله أن يقول: سامحتكم

فتنتهي المشكلة، فهو الرحمن الرحيم؟؟!!!!!!

نعم هو سبحانه كلي الرحمة، لكنه أيضا شديد العقاب، رحيم وعادل، وهاتان الصفتان متساويتان. إن غفر للمخطئ دون عقاب فأين عدله؟ كما أنه إذا عاقب فقط فأين رحمته؟؟!!!!

لذلك قال الرحمة: أنا أصالحكم مع العدل، فقلنا: كيف؟ قال: أصير إنسانا لأوفي شروط الفادي. ألا أقدر أن أكون؟

ونقول: نعم تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر، لكن حاشاك يا رب، نريدك عاليا قدوسا كبيرا منزها. فكيف تأتي لتكون مثلنا: تأكل وتشرب، تجوع وتعطش، تفرح وتحزن، وتجاوز في كل ما اختبرناه ما عدا الخطيئة؟ العفو يا ربنا!!!

ويقول الرحمة: ليس هناك طريق آخر، لا بد أن أكون ما لم أكنه، لتكون أنت ما لم تكنه. فإذا صرت إنسانا، وهذا في قدرتي، سأكون الإنسان الذي بلا خطيئة بل ومعصوم منها أيضا، نفسي ملكي أقدمها وقتما شئت واستردها حينما أشاء. فأنا غير المخلوق، وقيمتي تساوي كل البشر وزيادة. أنا غير المحدود القادر على الخلق.

وجاء الرحمة في ملء الزمان. الكلمة صار جسدا وحل بيننا، ورأينا مجده، مجدا كما لوحيد من الأب مملوءا نعمة وحقا (يوحنا ١: ١٤) ليبدل نفسه كذبيحة إثم عن كل الذين يقبلونه أما كل الذين قبلوه فقد أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه (يوحنا ١: ١٢).